



عبد الكريم غلاب

ملاح من شخصية
علائ الفاسى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عبد الكريم غلاب

ملاح من شخصية

علاء الفاضل

تقديم

مذسنوات وانا أحاول أن أخرج كتابا عن تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب . ولا يمنعني من إخراج الكتاب حتى الآن إلا الثغرات التي ما يزال على أن أملاها ولكني كلما بحثت في تاريخ الحركة الوطنية إلا وقصص علال الفاسي وسط هذا التاريخ يشع ويضيء ويملا مكانه الضخم حتى أصبحت الحركة الوطنية متجسدة فيه . فقد كان يطبع خطواتها ببصماته وينفخ فيها من روحه باعتباره قائدها الأول ولذلك كان من الضروري أن أكتب كتابا عن علال الفاسي حتى لا أكون مقصرا وانا أحاول أن أكتب تاريخ الحركة الوطنية.

وليس من السهل أن يكتب كاتب عن علال الفاسي إلا إذا كان من اصبر بحيد، يستطيع أن يتتبع هذا الرجل في أفكاره وتخطيطاته واتجاهاته السياسية والفكرية والاجتماعية ، فهو مخطر إذن أن يقرأ كل ما كتب علال ، وليس من السهل أن يتوفر كاتب على قراءة كل ما كتب علال الفاسي ، وأن يتتبع في نفس الوقت كل خطواته القيادية .

وما ازعم انى اعدت قراءة كل ماكتب علال وانا اكتب
هذه الملامح ولكنى استطيع ان ازعم انى تتبعت الرجل فى
معظم ما كتب وما فكر من خلال صحبتنا زهاء اربعين سنة،
الا السنوات التى فطلى عنه فيها نفى اوسجن او سفر
بعيد. وكانت لقاءاتنا اليومية احيانا، الاسبوعية فى كثير من
الاحيان اكبر زاد لى فى التعرف على آرائه وافكاره

وكان هذا الكتاب ملامح مما تعرفت عليه من آراء على
الاول وافكاره ولاستطيع ان ازعم انه يعطى الصورة
كاملة عن علال الفاسى رحمه الله ، فالصورة ستتضح
اكثر كلما توغل قراؤه ورغاقه فى هذا الفيض من النضال
اسياسى المطبوع بالنضال الفكرى فى سبيل المغرب وبلاد
العروبة والاسلام ولكن الكتاب مع ذلك يرسم صورة
واضحة عن نضال علال الفاسى اقدمها للجيل الجديد
الذى يهمه ان يعرف ملامح من عمل علال الوطنى والفكرى
فيتعرف فى الوقت نفسه على ملامح من نضال الوطن والمواطنين
ليسير فى نضاله على هدى من الاستشهادى التى رسمها علال
انفاسى

وما اعتقد انى خدمت بهذا الكتاب ذكرى علال الفاسى
كما يجب ان يقوم بذلك تلميذ يعتر بالانتماء الى مدرسة
علال ، ولكنى اعتقد انى رسمت بهذا الكتاب الطريق
امام الجيل الجديد الذى اعتر بانى اضع قلمى فى خدمته

الرباط اول سبتمبر 1974

عبد الكريم غلاب

إنسان

من الصفات التي اكتسبت علل الفاسى زعامته انه لم يكن زعيم الصالون اوزعيم المكتب ، ولكنه كان زعيم الشرع . فقد بدا عمله النضالى طالبا يشعر بواجب الاتصال بالطلاب ، وانتهت حياته وهو يشعر بواجب الاتصال بالطلاب ومن هم على شاكلة الطلاب شعبية ونضالا وحماس ومناقشة وكان يحس بأن دوره ليس فى التفكير منفردا ولكنه فى التفكي مع الناس وبالناس واذلك كان يتصل بالفلاحين القادمين من كل انحاء المغرب ، وبأئصحراويين الذين يقطعون الفيافى والقفار من اجل ان يجلسوا معه ويناقشوه فى مشاكلهم وكان يتصل بالعمال ليدرس معهم مشاكلهم ولو تعلقت بعيد فاتح مايو او باضراب فى معمل او بطرد زميل لهم او بالنقص من أجورهم وكان يتصل بالصناع ليدرس معهم مشاكل الصناعة التقليدية فى الدراز او دار الديغ او معمل النحاس او صناعة البلغة وكان يتصل بالعلماء والمتقنين والصحفيين من كل اتجاه ليناقشهم المشاكل التي

فيها يفكر أو يفكرون وكان يتصل بالمناضلين في الحزب ليدرس معهم ادق المشاكل التي تعترضهم ولو كانت قضايا محلية يمكن حلها بالاستغناء عن عمله واجهاده فيها هذه الشعبية اكسبته حبا في الناس فلا يرنح فكريا ونفسيا الا مع هؤلاء واولئك ولكنه حينما يجتمع مع هؤلاء جميعا لا يشعر بالفوقية ولا حتى بالاستاذية ، وانما يتحدث معهم كما لو كان واحدا منهم مشكلتهم هي مشكلته واهتماماتهم — حتى خارج العمل السياسي — هي اهتماماته ولا تكاد تفوته حتى جزئيات حياتهم الخاصة فيعنى بها وبسأل عنها كما لو كان ابا يسان أبناءه عن المرحلة التي وصلت اليها مشاكلهم

ومن هنا تجده يهتم بهذه الاتصالات الانسانية فيعود المريض ويحضر حفلات الاصدقاء والمناضلين ويواسي المكروبين ولو تحمل في سبيل ذلك جهدا فوق طاقته ما اذكر انه اتخذ من احد خصما انسانيا يختلف مع هذا او ذاك في المبدأ والعمل والسياسة ولكنه يقدر آراء خصومه السياسيين ويناضل للانتصار لمبادئه بالجدل المنطقي والسياسي . ولكنه مع ذلك يظل في علاقاته الانسانية عنى خير ما يحفظ الود ويضمن الاحترام

وما ذكر انه احتد مع احد في نقاش الا كان اول من يتدره بكلمة مجاملة يحاول بها ان يمحو كل ما قد يكون

على نفسه مما يسىء

شدهت مرة اذ قطع حديثا سياسيا كان يناقش فيه
بدية وافتر وجهه عن ابتسامه انسانية عذبة والتفت
اليها وهو يقول اسمعوا انه صوت البنية الجديدة التى
ازدادت فى هذا الاسبوع فى غرفة حارس منزله ولو قدر
آنذاك لترك العمل ليذهب الى مناغاة الطفلة الصغيرة
كان يخلل ضيوفه حينما يتحرك من مكانه ليوزع
عليهم الشاي بنفسه او يدور عليهم بطابق الحلوى وهو
مستمر فى حديثه السياسى او مناقشة راي او الاقناع
بفكرة

وكان لا يقبل التنازل عن حقه فى ان يقوم بعمل
انسانى يعتبر ذلك اكثر من واجب ولا يعتبره واجبا نحو
الاخرين ولكنه يعنדרه حقا له ليس لاحد ان يسلب
عنه هذا الحق وذا بحجة انه عمل شاق او يرهق
صحته

عاش فى منفاه السحيق تسع سنوات تعلم فيها اكبر
درس انسانى يمكن ان يتعلمه انسان فقد كان يشهد
يومية مظاهر من العنصرية البغيضة التى كانت تمارسها
الجالية البيضاء على سكان الغابون السود ولو استطاع
ان يناضل فى سبيل انسانية الانسان الافريقى لفعل
ولكنه كان فقيد حرية العمل والتصرف والممارسة فلم
يكن يسمح له الا بدقائق معدودات يخرج فيها من غرفته
ليرى النور ويتنفس الهواء ، ويرى مع ذلك المناظر المؤذية

التي يمارسها الاستعمار العنصرى البغيض ضد المواطنين
الافريقيين

طوف فى كثير من انحاء العالم شرقا وغربا ، وكان
مهمته لم تكن سياسية فحسب ، ولكنها كانت مهمه
انسانية حيثما طاف لا يكون مناصرين لقضية الوطن
فحسب ، ولكنه يكون اصدقاء لا ينسى صداقتهم مهما
بعدت المسافات او توالى الايام ولهذا تجد الذين يتفقون
معه فكريا وسياسيا او يختلفون يحتفظون بهذه الصداقة
لانه غراهم انسانيا ، ولو لم يستطع ان يقنعهم فكريا
او سياسيا

قابلت اخيرا مثقفا ماركسيا كان يجتمع به فى احدى
مكتبات القاهرة ، وكان معه على خلاف عقائدى ولم
يرد منذ ازيد من عشرين سنة وحينما رآنى سألنى عنه
ثم قال انى احب هذا الرجل لقد تناقشنا طويلا فلم
يقنعنى ولم اقنعه ، ولكنى اقدره واحبه لانه انسان
ومفكر ؛

سمع اخيرا ان فتى من تلاميذ المدارس الثانوية
يعرف والده كسرت رجلاه فى حادث سير ، فانتقل مرة
واخبرى وثالثة الى المستشفى وصعد الطابق الثالث ،
— رغم علة القلب — لان المصعد لم يكن يستعمل لغير
الموظفين وجلس الى الفتى — بعد ان عرفه بنفسه —
يواسيه ويرفع معنوياته ويؤكد له مستقبله دون ان يدري

أحد بهذه الزيارة ، حتى وإن لم يكن يعرف إلا بعد أن تتم
وحيثما سمع الفتى أن نبأ المجمع تحامل على نفسه مستعيا
بعكازين ، ووقف على القبر يشهد جثمان الرجل العظيم
الذي كان يزوره في منحنه وهو يوارى التراب
يرحمه الله لقد كان قلبه كبيرا يسع الدنيا لأنه كان
إنسانا كبيرا

إيمان

بالله وبالحياة والإنسان

النضال والجهد والتضحية والممارسة الدائبة عمل ايجابي . والعمل الايجابي في حاجة الى حافز يُمدد بالقوة لان الايجابية اقوى من السلبية ، ولانها انطلاق وحركة ، وليس اصعب من الانطلاق والحركة ان لم يكن هناك قوة دافعة تخرجها من عالم القوة الى عالم الفعل كما يقول الفلاسفة

والرجل الذي وهب خمسين سنة من حياته لم يضع فيها دقيقة واحدة — الا ان تكون مسلوقة منه — في غير النضال والجهد والتفكير والممارسة الايجابية لا يمكن ان يكون الا مدفوعا بقوة دافعة وليس هناك قوة اقوى من الايمان

رجل مثل علال لم يكن ليقف من الحياة والفكر والناس موقفا سلبيا لانه جبل — ودليل ذلك كل ذرة من حياته — على ان يكون ايجابيا والايجابية عنده ليست هواية او صناعة ولكنها تكاد تكون جزء من ذاته ، فلو لم يوجد

في وسط يدعو الى الايجابية لكون الوسط الذي يستند
ايجابيته ويمتصها

ومن هنا كانت الاصول التي يمتنع منها لا تنتمي
للسلبية بسبب وانما هي الاصول الايجابية التي تصنع
الرجل الايجابي

في مقدمة هذه الاصول الايمان
الايمان ايجابية لانه اكتشاف للحقيقة وتفاعل معها
وممارسة مع عالم لا يخفيه عنك الا جهله او انكاره او
التخلص منه

وهو ايجابية لانه استخدم ممكنات الانسان الفكرية
والنفسية والروحية في التعامل مع عالم قد يكون مجهولا
بدون الايمان والالحاد او الانكار او اللامبالاة مفرقة في
السلبية لانها التخلص من استخدام الفكر والقلب والنفس
والروح جميعا في عالم قد يكون معنويا وقد يكون ماديا
وعلال من نوع الرجال الذين لا يزيدون ان يعطوا
طاقة من طاقاتهم الفكرية والروحية جهلا او تجاهلا او
كسلا او استمراء للراحة ولذلك كان اكبر طابع يطبع
حياته وتفكيره وعمله هو الايمان

كان مومنا بالله لا لانه وجد في بيئة مسلمة وتعلم
تعلما اسلاميا فحسب ، ولكن لانه يكشف كلما طال به
زمن الحياة والممارسة والتفكير والقراءة بأن الله
موجود .

ومن ايمانه بالله كان يستمد الايمان بالحياة ، فلم يكن
عدميا او عبثيا يعتبر الحياة ضربا من العبث توجد وتنتهى
لمجرد الصدفة او لانها ارادت هكذا ان تكون وذلك كان
يحب الحياة ويتعشقها لا لانه يلتذ بطيباتها ويرغب في
صحبته ، ولكن لان الحياة شىء ثمين وجد في الكون ليعاشر
بالعمل والنضال والجهاد

واذا كان الانسان خليفة الله في الارض فان الحياة
التي يحيها يجب ان تكون على قدر هذه الخلافة في السمو
واولى مراتب السمو الايمان بها ثم العمل لتكون حيا
حقيقية فاعلة منفعة مستمرة متطورة دائما الى احسن
من هنا كان لا يقوم بأى عمل الا اذا امن به وايمانه
بجميع اعماله مستمد من ايمانه بالله

آمن بالانسان لانه خليفة الله في الارض وآمن بان
هذا الانسان يستطيع ان يسير الحياة ويغيرها ويطورها
ويخلق ويبدع ويفكر ويجاهد ويناضل ولم يكن انسان
بلاده — حتى في احلك الظروف التى مرت به في تاريخه
القديم والحديث — يختلف عن أى انسان لانه لا يفترق عن
الاخرين فكاء وقدرة عمل ولو نقصه العلم والتجربة وقد
ناضل في ان يستكمل له العلم والتجربة

ومن ايمانه بانسان بلاده آمن ببلاده فهى المنطلق
الحر لهذا الانسان ولم يكن حبه لها حبا صوفيا او حبا
بدائيا كما يحب الناس اوطانهم في اخلاص فحسب ، ولكنه

كان يحبها بفكره وقلبه جميعا وما نضاله من أجلها الا انطلاق من الايمان بها كان يومن بأن المغرب والوطن العربى والاسلامى قادر على أن يقوم بدوره فى الحياة لا ايمان العاطفة ولكن ايمان العقل فالموقع الاستراتيجى والجغرافى والمركز الاقتصادى والمنطلق الحضارى كل ذلك يجعل هذه البلاد مركز الثقل فى العالم ولذلك فهى قادرة على أن تعمل ويجب أن تعمل

وكان يومن بقدرته على أن يخلق من المواطن الذى يودو فاقد الوسيلة رجلا قادرا على أن يملك كل وسيلة للعمل ولذلك كان يخطط للمواطنين الطريق ويهديهم للمنهج ويدفع بهم للعمل

وكان يومن بأن بلاده ستستقل رغم أن فترة عمله الوطنى وفترة النفى الطويل كانت توحى باليأس فما كان يأس قط حتى فى الظروف التى تبعث على اليأس ومن الذين يبعثون على اليأس

وكان يومن بأن الاستقلال سيتحقق فى حياته ، رغم أن اكبر المتفائلين كانوا يراهنون على خمسين سنة أخرى من الاحتلال

ومن ايمانه هذا كان يستمد الايمان بأن كل عمل اقتنع به لابد أن ينفذ . وأكثر ما كان يفيظه أن يقنع أصدقائه بوجاهة الفكرة ثم تبدأ الاعتراضات التى تدعو الى اليأس من تنفيذها أقدم على أعمال كبرى نجح فى الكثير

منها وفشل في بعضها ، ولكن فشله لم يكن قط يقهر ايمانه بها . وبأنه سيعيد الكرة الى أن ينجح . قام بأعمال لم يكن أحد في مسؤوليته الوطنية أن يقوم بها ، ولكنه كان يتخطى كل الظروف والملايسات ، لانه كان يؤمن بها ، والهدف هو النجاح

ولكنه ما قام بعمل قط أو وافق على القيام به لم يكن يؤمن بجدواه

من كل هذه الملامح يمكن أن نقول ان جماع شخصيته كان هو الايمان . وأن زعامته لم يكتسبها بالسلبية التي تعنى فقدان الايمان ، ولكنه اكتسبها بالايمان المطلق الذي يعنى عمق الايجابية

زعامة

« — واخترناه رئيسا لجماعتنا السرية الاولى في القرويين مع انه كان اصغرنا سنا لما كان يتمتع به من ذكاء ومقدرة على الهم والتعبير والاستيعاب وتقدير بين جميع زملائه » .

على هذا النحو تحدث المغفور له الاستاذ المختار السوسي عن المراحل الاولى للحركة الوطنية في احد كتبه ومذ ذلك الوقت بدأت زعامة علال تتبلور لتأخذ ابعادها الواقعية التي ظهرت فيها وهو يقود معركة الاستقلال ومعركة التحرير ، ومعركة الصحراء ومعركة الديمقراطية ومعركة التعادلية ، ومعركة التحرر من رواسب الاستعمار الفكرى واللغوى ، وتحرير كرامة المواطن من الاعتداء والاهانة والظلم ، ومعركة تحرير المجتمع من التخلف وبقايا الخرافة وبقايا التغافل الاستعماري في النفوس

لم تكن زعامة علال اذن مفرضة من فوق فلم ينلها

بالقوة ولا بالتسلط ولا بالصدفة ولا بالسهولة واليسر التي
نال بها كثيرون الزعامة في كثير من البلاد عن طريق
صناديق الانتخاب أو التملق إلى الأصوات بالوعد والبرامج
المكتوبة ولكنه نالها بالعمل والتضحية والممارسة اليومية
مع المواطن في همومه ومشاكله وحاجاته وآماله
ومطامحه

ونالها بفكره الوقاد الذي كان يعيش مع القضية في
أيامه ولياليه يفكر فيها حتى يستخرج الحل لمصالح الوطن
والمواطنين ويبدأ العمل حتى ينجح أو يعبىء المواطنين
للعمل حتى يقارب النجاح

ونالها بقلبه الواسع الذي لا يضيق عن احتمال
هموم كل طفل ليدخل المدرسة ، وكل عاطل ليعمل ، وكل
عامل أو صانع حتى ينجح أو يستعد في عمله وكل فلاح
حتى يجد الأرض — وكل مواطن حتى يكسب المواطنة
الحقيقية

ونالها بشمولية تفكيره في شؤون الوطن والمواطنين
الصحراء عذبة كالمدينة والقرية والجبل والسهل ، كلها
تكون الوطن الذي استخلف الله الإنسان فيه وكلها تقتضي
منه النضال لتحرر أرضا ، ولتحرر الإنسان فيها مواطننا ،
ولتكون جميعها الوطن الذي وهب نفسه ليستعيد له
حقيقته ووجوده ومعناه وكرامته.

ونالها بالتضحية من أجل كل هذه الأبعاد النضالية

فقد كان يؤمن أن فكرة من افكاره لا يمكن أن تتحقق بغير تضحية ، ولذلك كان طبيعيا أن يتقدم الصفوف كلما حارب الامر ودعا الى التضحية والبذل ، فكان أن سجن في سنة 30 ونفى في 33 وسجن في 36 ونفى تسع سنوات في سنة 37 ، ولم يكد يعود الى الوطن حتى فرض عليه نسائي اختياري سنة 47 وحوصر في مدينة طنجة بعد عودته من الشرق العربي ليعطوف بعد ذلك في الافاق منذ معركة جوان الاولى ضد الوطن والعرش سنة 51 حتى تحقق الاستقلال سنة 1956

ونالها بالعمل الفدائي الذي نظمه منذ ذداء القاهرة عشية 20 غشت 1953 حتى تكوين خلايا الفدائيين وتزويدهم بالسلاح ثم تكوين جيش التحرير المشترك لتحرير المغرب والجزائر ، والذي بدا المعركة في الاوراس ثم في بورد وتيزي وزو واكنول

ونالها بالمواقف المشجاعة التي لم يكن لاحد أن يقفها لدقتها وعسر المنفذ اليها وكأن علال يقفها ويخوض المعركة من أجلها ولو حفت طريقه بالمتاعب وتاريخه حافل بهذه المواقف التي يطبعها ذكاء الفكر وشجاعة القلب والجرأة على الجهر بالحق والاقدام على العمل

ونالها بالتفرد بالمواقف التي تبدو خيالية حتى اذا أقنع بها عن طريق الايمان والتشبث والعمل الدائب سأل كل واحد نفسه كيف كنت احسب ذلك ضربا من

الخيال

ونالها وهو يسجل افكاره التقدمية بنفس الشمولية
والشجاعة والمنطق ويشرح فلسفتها بنفس الطريقة التي
اقتنع بها هو ، في مجموعة من الكتب والخطب والتقارير
والقصائد والمحاضرات والمذكرات

عن هذا الطريق الودع الذي اقتضى من علال
خمسين سنة من النضال القاسى — وقد كان يقتضى من
جماعات غيره مئات السنين — نال علال زعامته التي لم
ينازعه احد فيها لان احدا لم يستطع ان يقوم بما قام به
علال في نصف قرن الاخير — وهى زعامة طبعت المغرب
والمواطن المغربى بكل الفارق الذى نلحظه بين مغرب
العشرينات ومغرب السبعينات

طموح

لا يمكن أن نتصور زعامة بدون طموح
ولا يمكن أن يكون علل هو علل دون أن نضع
الطموح في مقدمة مميزات شخصيته السياسية والوطنية
والعلمية

ولكن يجب أن نفرق بين طموح وطموح الطموح
الاهوج الذى لا يقيم وزناً للمعطيات الفكرية والشخصية
لصاحبها ولا للأهداف التى يريد أن يحققها لمصلحة
بلاده والذى يقوم على أساس الانانية وحب الذات
واعتبار الهدف هو ذات الشخص الطموح فهذا طموح
ينتهى بصاحبه الى الفشل ، أو الى تحقيق أهداف صغيرة
لا تعدو أن تكون لذات فانية لا اشعاع لها على الوطن
ومصلحته

وطموح كهذا لا يمكن أن يؤهل الشخص الى الزعامة
الفكرية او السياسية او الوطنية
والنوع الثانى الطموح المتعلل الذى يستمد كيانه من

واقع الشخص الطموح وقدرته الفكرية واهتماماته الوطنية والسياسية والاهداف التي يريد تحقيقها لبلاده على ان تكون هذه الاهداف مما يحقق مصلحة الوطن والمواطنين وطموح كهذا يستمد — ولا شك — كيانه من الشخص الطموح ومقوماته ، ولكنه يكاد يفرض نفسه عليه ، فلا يكون مثل هذا الشخص الا طموحا ، والا لن يكون هو هو . وقد يكون كل شيء الا ان يكون الزعيم الذي يفرض نفسه على الاوضاع ويحقق لبلاده ما يريد من تطور واصلاح

وقد كان علال من هذا النوع الثانى فقد كانت ممكناته الفكرية والشخصية ، وكانت افكاره فى بناء كيان المغرب المستقل وكان ايمانه بشعبه وبتاريخ بلاده ، وكانت ثقته بنفسه والزمرة التى يعمل معها تجعل منه شخصية طموحا ابعد ما يكون الطموح

عرفت عنه هذه الصفة وهو شاب يافع فى بداية عهده بالعمل العلمى والسياسى وكانت تستجيب له ، فلا يكاد يرسم — او لا تكاد الاقذار ترسم له — هدفا الا وكان طموحه مستجيبا له يحققه ان قريبا او بعيدا

لا اذكر المراكز التى احتلها كشاعر او خطيب او عالم او قبل ذلك كزعيم للطلبة ورئيس لاول جمعية سرية دونها طلاب القرويين للعمل السياسى ، او ترؤسه لاول حزب سياسى تكون فى المغرب والذى تطور اسمه من كتلة العمل الوطنى حتى الحزب الوطنى حتى حزب الاستقلال ،

فقد سعت اليه كل هذه المراكز دون أن يسعى اليها أو
يبذل في سبيلها من طموحه ولكنى أذكر الاهداف الكبرى
التي طمح اليها وحققها وقد كانت حلما لا تراود الا
الطامحين لتحقيق كبريات الاهداف

لقد طمح لاستقلال المغرب منذ بداية العمل الوطنى ،
والاستعمار يومئذ فى اعلى مراحله وقدم طلبا بهذا
الاستقلال وهو منفى فى قرية مهجورة فى مجاهل افريقيا
كما كانت تدعى آنذاك ولم يكن أحد يطمح حتى فى سلامة
فرنسا نفسها من الاحتلال الالماني

وطمح للثورة على الاستعمار حينما أعلن نداء القاهرة
بعد اعتقال محمد الخامس وعائلته بساعتين . وكان يومئذ
بأن شعب المغرب سيستجيب لهذه الثورة ولكن طموحه
للثورة لم يكن فكرة أو حلما أو نداء من صوت العرب
بالقاهرة فحسب ، وانما كان عملا مدبرا حرص على ان
ينفذه منذ أعلنه فنظم المقاومة وزودها بالسلاح وشارك
فى تنظيم جيش التحرير المشترك بين الجزائر والمغرب
ليهدم الاستعمار هنا وهناك وحمل فكرة الثورة على عاتقه
يتجول بها فى الآفاق الآسيوية والاوروبية والأمريكية . وحقق
طموحه منها ما أراد فكانت الثورة فى البلدين ، وكان
استقلال البلدين

وطمح لبناء كيان المغرب السياسى على اساس من
الديمقراطية ولم يكن طموحا مرتجلا أو فكرة مجردة
يعلمها شعارا يتردد يخفق وانما ظل يعمل لها بالتفكير

والتدبير والتوجيه والتنوير والاقتناع وأخذت الفكرة طريقها المتعثر ولكنه لم يئأس قط ، لان طموحه كان يهديه الى انها اصلح أسلوب لبناء البلاد بأسلم طريق وباجماع شعبي حقيقى

وطمح لتغيير وجه التعليم والثقافة في هذه البلاد على اساس من الاصاله فى اللغة والانسية والدين والاستقامة الفكرية وكانت دعوته لهذا الهدف لا تعرف الانهزام ولا التخلى والتراجع عن القيم التى اختطها او على جزء منها وكان يصارع فى هذه القيم كل الذين يخالفونه ولو كانوا من اقرب المقربين او اقرب الاصدقاء

وكانت الدنيا تظلم احيانا امام ناظره حينما يطغى الانحراف فى العقيدة او المبادئ او الافكار على نطاق المغرب او على نطاق العالم الاسلامى والعربى ، ولكنه يطمح فى ان يغير هذه الاوضاع ، وهو لا يملك قوة ولا سلطة - وربما كان خصومه من ذوى القوة والسلطة على هذا النطاق الواسع اكثر من انصاره - ولكنه مع ذلك يعمل لانه يطمح فى ان يغير ما بالناس حتى يتغير هذا الانحراف وتعود الدنيا فتشع امام ناظره لانه يهتدى الى العمل

والعمل بداية مهمة لارضاء هذا الطموح لقد حاول الكثيرون منذ بداية عهد علل بالشهرة على النطاق الوطنى والعلمى ان يهدموه عن طريق طموحه ،

فيفسروا هذا الطموح تفسيرات مختلفة كان بعضها يمكن
أن يسلم عنقه الى حبل المشنقة واستغل الاستعمار
هذا الطموح المستمد من قوة علال الفكرية وقدرته على
ابتكار الافكار وتحقيقها ليهدمه كشخص ولم يكن أمام
الاستعمار الا أن يسجن وينفى ويشرد ويعذب ويدس
ويكون الخصوم والاعداء ، ولكنه بطموحه انتصر على كل
هذه المعوقات وخرج علال الطموح ليحقق مطامحه في كل
ما كتب ووجه وفكر وخطط ونظم ، وفي كل ما خلق من
تيارات وطنية يشهد بها خصومه قبل اصدقائه ، ولو ان
بعض هؤلاء الخصوم ما يزالون يرددون بعض ما كانت ادارة
الحماية تفسر به طموح علال في بداية الثلاثينات ،
يرددونه في السبعينات وبعد ان انتقل الى جوار ربه

نضال حتى الرّمق الأخير

النضال يأخذ مفهومه من الهدف الذى يستهدفه المناضل وقد كان الهدف من نضال علال أكبر من أن يتحقق بسهولة ويسر لم يكن الاستقلال وحده ، ولم يكن بناء الاستقلال وحده ، ولكنه كان اى جانب ذلك تجنيد المواطنين لى ينضلوا فقد كان يرحمه الله رغم قدرته على العمل وتضحيته الكبيرة ونضاله المستميت وكاملته المسموعة وهيبة رايه وجراته على قول الحق ، يعرف أنه مستطيع بشعبه ولذلك كان نضاله مستمدا من نضال الشعب وكان عليه أن يجند الشعب للنضال حتى يستطيع أن يكون لهذا النضال مردود وهو تحقيق الهدف فى الاستقلال والوحدة وبناء الكيان الاقتصادى والسياسى والاجتماعى للبلاد وتحقيق الديمقراطية والتعادلية وتحرير الوطن العربى والاسلامى

هذه الاهداف الكبرى كانت فى حاجة الى نضال

مستميت ، وهذا النضال هو الذى طبع حياة علال منذ
فارق حياة الطفولة عند الخامسة عشرة من عمره حتى
سقط شهيدا في المعركة وهو يدافع عن فلسطين في سن
الرابعة والستين

نضال علال لم يكن نضال كلمة فحسب ، ولا نضال
توعية فحسب ، ولكنه كان نضال عمل ونضال العمل كان
يقتضى التضحية ، وإذ لك كان يتعرض في كل فترة من
نضاله للسجن والنفي والتشريد وكان يقتضى التنقل
ولذلك طاف في أرجاء القارات الأربع من اندونيسيا واليابان
حتى الهند وباكستان وأوروبا وأمريكا الشمالية ودون
أمريكا اللاتينية وكل مكان يستطيع أن يرفع فيه اسم المغرب
واسم العرب واسم المسلمين

ونضاله كان يتطلب المبدأ والقرار وفي هذه النقطة كان
مدينا لفكره الوطنى وقنبه الكبير الذى يزخر بحب بلاده ،
ثم لقرار اخوانه في الحزب يحمل المبدأ والقرار ثم يصبح
صامدا لا يعرف الهوادة ولا المسالمة ولم يعرف عنه انه
تنازل عن مبدئه ، ولا اعتبر تحقيق أية خطوة انتصارا الا
ان يحقق الهدف بكامله وفي سبيل تحقيق المبدأ كان
يناضل حتى النهاية

ونضاله لم يكن يعرف الراحة ولو على حساب صحته
وراحته كان يتنقل المسافات الطويلة ليحضر اجتماعا
للحزب او ليحاضر جماعة عن قضية وطنية او علمية او

ليحضر مؤتمرا أو ليدعو الى فكرة وكانت خصومته الدائمة مع الاطباء انهم يحاولون أن ينصحوه ليتجنب السفر أو التنقل ولو بعد أن دأبه مرض القلب قبل وفاته بسنتين، فكان لا يستجيب لهم كما دعاه واجب العمل وكان يعنى لهم كلمته المشهورة « لن أموت قبل أن أموت » لأنه يؤمن بأن التوقف عن العمل موت ولذلك لن يقتل نفسه قبل أن يختطفه الموت وما عرف عنه أنه رحل ليستريح من العمل بل كان يملا كل دقيقة من وقته في التبشير بأفكاره محاضرا أو متحدثا أو ملما بتصريحات للصحافة أو مقنعا بفكرة

وكان السجن والنفي لا يمنعه من النضال وفي غمرة نفيه السحيق حاول أن يتصل بالجنرال دوكول ، وهو يومئذ يتزعم فرنسا الحرة حينما زار برازفيل ، فلما منع من مقابلته بعث له بذاكرة يطالب فيها باستقلال المغرب واشترط على الذين راودوه أن يدعوا مواطنيه المغاربة الى مناصرة الحلفاء — وكان ذلك يعنى الافراج عنه — اشترط عليهم أن يعان الجنرال دوكول مبدأ استقلال المغرب ومشلت المفاوضات غير المباشرة معه سنة 1943 لأنه أبى أن يتنازل عن شروطه وفضل البقاء في المنفى ثلاث سنوات أخرى ليبلغ نضاله مداه أو يعلنون استقلال المغرب. وكان يجند الشعب معه في النضال من أجل افكاره الوطنية الاستقلالية والاصلاحية والاسلامية لأنه يؤمن بالشعب ويعتبر

نضال الشعب هو السبيل لتحقيق الهدف الذى يناضل من أجله.
هكذا كانت حياته نضالاً هادفاً لا يعرف التكل ولا الملل
ولا يؤثر الراحة ولا الصدة ، بل ولا الحياة ، على نضال مستميت.
فى سبيل شعبه وبلاده وعقيدته

درس كبير قدمه لشباب هذه البلاد ، بل للشباب فى جميع
البلاد ، قدمه من حياته وعمله وفكره والذين يذكرون علان
اليوم بعد أن فارق الحياة سيذكرون فى مقدمة ما يذكرون هذا
المثل من الرجل الذى ناضل وجاهد حتى الرمق الاخير من
حياته

العمل قيمة الحياة

عمل العظماء صورة من افكارهم ، بل هو الذى يترجم افكارهم ليعطى صورة عن حياتهم وقد كان عمل علال صورة من الافكار الكبيرة التى يحملها ويناضل فى سبيلها لا يفترق عنده التفكير للفكرة عن بلورتها وتشخيصها والعمل لها الى ان تنجح وتتحقق

لهذا كان حركة دائبة يفكر ويلور الفكرة ويعرضها مكتوبة او مقولة على بساط البحث والمناقشة ويدافع عنها ثم يقوم بتنفيذها ولذلك لم يكن يشغل نفسه الا بالتفكير والعمل فى اطار المجموعة التى يعمل معها ، ولم تكن المجموعة الا الشعب بكامله

الذين يستعرضون حياته الفكرية وعمله الوطنى والسياسى يحسون بأنه عمل اكثر مما يحتمله انسان فى وقت لا يحتمله عمل مناضل ضاعت اجزاء طويلة منه فى المنافى والسجون والمعتقلات ولكن الذين يعرفون علال عن قرب يحسون بأنه كان يعمل بالليل والنهار حتى ان ليله كان اطول من ليالى الناس ونهاره كان اطول من نهارهم

لقد عرفناه — مثلا — يكتب كل يوم فصلا من كتابه
الحركات الاستقلالية كتبه في القاهرة بعيدا عن مراجعه
ولكنه كان يكتب اصدقاءه ليطلب المعلومات والتواريخ
ويعود الى المؤلفات المكتوبة عن تونس والجزائر كما يعود
الى ذاكرته كان يكتب الفصل من انكتاب في الليل ويحمله
سباحا الى مكتبه في مكتب المغرب العربي ليدفعه الى
الآلة الطابعة

وعرفناه مثلا يكتب النقد الذاتى نشره فصلا بفصل
فى رسالة المغرب الاسبوعية فلم يتأخر الفصل عن مواعده
المقرر طيلة المدة التى نشر فيها . والذين قرأوا هذا الكتاب
يعرفون الجهود العلمية والكتب التى رجع اليها والدراسات
الطويلة التى قرأها والافكار المبتكرة التى قدمها وتنسيق
هذه الافكار بالطريقة العلمية التى كتب بها الكتاب

ولم يكن بأسف لشيء قدر أسفه على ان المطبعة فى
المغرب لا تستطيع أن تجارى المؤلف بحيث يتأخر الانتاج
فى المطبعة اكثر مما يتأخر عند المؤلف ويحكى فى ذلك
عن تجربته ولاشك

والذين عايشوه فى العمل الوطنى ، يعجبون كيف كان
يبتكر كل يوم فكرة ، وكان من المستحيل احيانا ان تلاحقه
اجهزة الحزب لتنفيذ جميع افكاره المبتكرة وهذا ما كان
يحز فى نفسه دائما .

والذين يستعرضون تاريخه النضالى العلمى والسياسى
يعجبون كيف كان يستطيع ان يلم بهذه السمولية الكاملة

بجميع الموضوعات التى يتناولها ، فهو يتحدث فى القرآن كأكبر مفسر قضى حياته فى استجلاء معانى القرآن ويتحدث فى الفقه كأكبر فقيه أحاط بكل ما كتبه الاولون ثم كان له رأى خاص فى كل ما يعرض له من مشكلات الفقه ، ويتحدث فى الاقتصاد كأكبر مطلع على ما كتب فى الموضوع ثم يكون له رايه الخاص فى حل المشاكل التى يتعرض لها ويتحدث عن السياسة ومشاكلها الوطنية والعربية والاسلامية والدولية حديث الخبير المطلع المتفهم المبنى فى كل ما يعرض من هذه المشاكل

ولا نحتاج الى أن نعدد الميادين التى خاض فيها علال الفاسى ، فالذين عرفوه من قريب أو بعيد جابهتهم هذه الشمولية الفكرية والعملية

قد يعود ذلك الى ذكائه وتفوقه . ولكنه يعود ايضا الى انه كان يؤمن بالعمل وبأن الطاقة البشرية لم تخلق الا لتصرف فى العمل لا يجتمع مع قوم الا ليفكر معهم او ليحل مشكلتهم او ليعرض عليهم فكرة ارتأها ويقنعهم بسلامتها ولا يسير فى شارع او يزور مدينة الا وهو يبحث عن مكتبة يروى منها ظمأه للعلم ، ولا يتنقل الا ليحاضر او يدرس او يخطب او يجتمع مع جماعات الحزب وفروعه ومكاتبه .

والذين تتبعوا نشاطه فى السنوات الاخيرة عنى الاخص كانوا يقدرون قدرة العمل التى كان يتمتع بها . وقد كان وحده يملأ النشيد العلمى والثقافى فى رمضان فيتنقل بين مدن المغرب وقراه شماله وجنوبه وشرقه يدرس

ويحاضر ويجتمع مع العلماء والطلبة وفروع الحزب ، ثم يأخذ طريقه صباح غد الى اقليم آخر بعيد كل البعد عن الاقليم السابق .

أكثر ما كان يكره الكسل والتباطؤ في التنفيذ وكان يعتبر ذلك من المشكلات الاجتماعية الخطيرة التي زادت من الحضارة الحديثة تعقيدا وتنظيما . ولذلك كان يكره عطلة الاسبوع لأنها تشل الحركة الفكرية والعملية في الجزء السابع من حياة العالم . وكان يكره الصيف لأنه يشل الحركة على الأقل شهرا في السنة وهو الجزء الثاني عشر من حياة العالم

وكان يحتقر المسافات فمن أمريكا اللاتينية الى باندونغ ومن شمال أوروبا الى قلب افريقيا كلها كانت مجالات لنضاله في سبيل بلاده ، لم يترك مكانا الا اسمع فيه صوت المغرب ، ولم يترك ناديا ولا مجموعة بشرية الا علمها ما هو المغرب وما هم المغاربة . ولم يترك قرية في المغرب الا زارها ليعلمها الوطنية

كان العمل هو وسيلته الى كل ذلك ولم تكن وفاته وهو يعمل الا خاتمة حية لهذه الحياة المليئة بالنشاط والحركة ، والا دليلا قدمه للذين يدرسون هذه الحياة أنه لم يقبل مطلقا أن يموت عنى فرائسه

المبدأ والعقيدة

الذين عرفوا علال الفاسي ودرسوا شخصيته بن بعيد قدروا فيه رجل المبدأ يسير على هديه في كل ما فكر وعمل وناضل وكتب وخطب وحاضر ، لكن الذين عرفوا علال عن قرب ودرسوا شخصيته في العمل والممارسة وخلق الفكرة وتطويرها الى ان تصبح عملا منفذا اوقابلة للتنفيذ عرفوا ان المبدأ عنده يهتدى بهدى العقيدة ، وان المبدأ لا يأخذ مفهومه من السياسة او ممارسة العمل السياسى ، ولكن يأخذ مفهومه من العقيدة

وما كانت العقيدة الا الوطنية والاسلام
فرق كبير بين المبدأ يصطنع لك او تصنعه لنفسك ،
وبين العقيدة تفرض نفسها عليك من خلال تراثك الدينى
والفكرى والوطنى ومن خلال ممارستك للتفكير والعمل
فتعتنقها لتصبح هدايتك فى المسيرة

وقد كان علال رجل مبدأ مصدره العقيدة
لذلك لا تعارض عنده بين العمل السياسى والتفكير

الاسلامى ولا تعارض عنده بين الوطنية والاسلامية
العمل السياسى يقتضى كل ما فى السياسة من مراوغة
واستغلال للظروف ومساابقة للحكم وخصومه حادة تبلغ درجة
العداوة ، والتفكير الاسلامى يسلب من السياسة كل سيئاتها
ليجعلها وسيلة لتحقيق مطحة الشعب أو الامة، وسواء كانت
شعبا أو امة فهو يراها اسلامية ، بكل ماتوحى به الاسلاميه
من معانى الدين والعقيدة والفكرة والطائفة والحضارة من
اتساع الافق والتعاون مع الاخرين كيفما كان دينهم وعقيدتهم
وحضارتهم فى نطاق المسالمة والسلام والاحترام المتبادل

العمل السياسى اذن يندرج عنده فى التفكير الاسلامى لانه
يمارس السياسة فى نطاق الاسلام ، ولذلك لامراوغة ولا
استغلال للظروف ولا مساابقة من أجل الحكم ، الا أن يكون
الحكم وسيلة لتحقيق الفكرة الاسلامية ولا خصومة الا من أجل
المبدأ الذى مصدره العقيدة، ولا حدة فى الخصومة ولا عداوة.
لذلك تجد علل فى عمله السياسى يعارض الراى ويحتفظ
بكامل الود والصداقة والاحترام والتقدير لصاحبه ، وقد يخاصم
ولكنه لا يعادى وحتى الخصومة فى السياسة لا تتعدى العمل
السياسى الى العلاقات الانسانية . ولذلك كان يلح كثيرا على
التفريق بين العاملين أو السلوكين كل منهما واجب يستند
الى مبدأ، ولا ينبغى أن يسرف أحدهما فيعتدى على حق الآخر.
وكل الذين اختلف معهم سياسيا ظل يضمن لهم كامل الاحترام،

حتى لتجده يسبقهم بالنسلاهم ويسمى اليهم للعبادة ويجلس اليهم للحديث

ولاتعارض عنده بين الوطنية والاسلامية لان الوطن عنده — كما قلنا في غير هذا الحديث — لن يكون له مفهوم حقيقى الا فى ظل الاسلامية . قد يعتبر البعض منه ذلك تعصبا ولكنه لا يفهم الوطن على انه ارض وسماء او مجموعته مواطنين تجتذب كلا منهم وقيم عقيدة، وانما يعتبر الوطن وحده بأرضها وسمائها وبحارها ومواطنيها الموحدين عقيدا العالمين فى اتجاه واحد فى ظل عقيدة واحدة من شرط الوطنية اذن الاسلامية

وليس يعنى ذلك وحدة الدين فى الوطن الواحد هناك مبدأ الطائفة ومبدأ الاقلية ، ومبدأ لكم دينكم ولى دين وهنا تدخل الديمقراطية لتجعل اقلية الطائفة الاسلامية مثلا تكون وطنا اسلاميا يحفظ كل حقوق الاقلية او الاقليات سواء كانت حقوقا انسانية او وطنية او دينية ، كما ان اقلية الطائفة المسيحية مثلا تكون وطنا مسيحيا مع حفظ حقوق كل الاقليات غير المسيحية ، انسانية كانت او وطنية او دينية. من المنطق كان علال كون المبدأ الذى يسير عليه فى ممارسته للشؤون الوطنية والسياسية وفى تفكيره الوطنى والسياسى وهذا هو المبدأ الذى انار له الطريق فى كفاحه الطويل

ومن حسن الحظ ان التجاوب كان كبيرا بينه وبين الذين

عملوا في الميدان الوطني والفكري لان مبداه كان واضحا. كثيرون كانوا استقلاليين لانه استطاع ان ينفذ الى عقولهم وقلوبهم عن طريق هذا المبدأ الواضح، ولانه استطاع وهـ: مخاطبهم أو يناقشهم أو يجادلهم في تفكيرهم على ضوء المبدأ الذي اختطه. وكثيرون لم يكونوا استقلاليين ، أو بعيدين عن الاستقلالية او قليلا أو كثيرا ، ولكنهم مع ذلك يقدرون المبدأ الذي كان يصدر عنه علال ويتجاوبون معه ، ولو عارضوا بعض الجانبيات او الجزئيات او الممارسات ، ولكنهم يقدرون المبدأ الذي لا ينقصه المنطق ولا الصدق والعمق ، ويثقون في الاتجاه الذي يسير فيه

وقد أضفى علال على الاستقلالية كمذهب وعقيدة وممارسة سياسية هذا المبدأ ، فأصبحت الاستقلالية ايدولوجية متميزة لها طابعها المنفرد بين الايدولوجيات وأظهر مظاهر هذا الطابع انها متفردة غير منقولة ولا اتباعية ولا تقليدية . وانها من وحى هذا الوطن ، ونابعة من تفكير رجل عرف بفكره الوطني الاسلامي وباجتهاده وخبرته وممارسته الطويلة هو علال الفاسي

الأبعاد الحقيقية للوطنية

الكلمة « وطنية » من المفردات الجديدة التي تلقفتها الأذان في العشرينات ، فاعتبرها البعض سراً يخشى أن يعاقب عليه ، واعتبرها البعض بدعة ، يجب أن تحارب ، واعتبرها آخرون تمرداً يجب أن يقبر في مهده ، وتلقفها آخرون في بداية الثلاثينات فأعطوها بعداً من أنفسهم تافهاً أو ضحلاً أو غير ذي مدلول وكانت عذد علال ذا بعد لا يخضع لتعريف ، وإنما هي التزام من العلم والعمل تنتهى الأعمار ولا يبلغ الوطنى مداه

كانت الوطنية تعنى أكثر من حب الوطن الحب العاطفى لا يقدم عملاً لوطن فى حاجة الى بلورة مدلوله والحب لا ينقذ وطننا اغتصبت أرضه وانتهكت سيادته واستعبد أبناؤه ، وسرقت موارده ، واحتل ترابه ولذلك كانت الوطنية تعنى العمل لتحرير الوطن ، بكل ما تعنى كلمة التحرير من مفاهيم

تحرير وطن محتل ليس من السهل ادراك خطورته
عند الذين ولدوا في وطن متحرر ، ولكن من الصعب القيام
به بين جيش الاحتلال والادارة المحتلة والمعمرين المحتلين
والاقتصاد المغتصب والتعليم المنحرف والعنصرية
البغيضة

هذه هي الظروف التي بدأت فيها كلمة الوطنية تأخذ
معناها الحقيقي عند علال وأصدقاء علال من الذين انشأوا
الحركة الوطنية وقادوها في أحلك ظروفها زهاء 50 سنة
وكنتم الوطنية لا تعنى أن يكون هؤلاء القادة وطنيين
فحسب ، ولكنها تعنى أن يجعلوا من الشعب كله وطنيين
ولذلك كانت مسؤولية علال وزملائه مسؤولية ضخمة في
أن ينفذوا بأفكارهم الى قلوب جميع أفراد الشعب ، فكانوا
يسيرون الجماعات والخلايا ليجعلوا من أفرادها وطنيين
بالمفهوم الحقيقي للوطنية ، وكان عليه أن يعمل في السوق
والنزل « والدرار ومعمل البلغة الدكان ، وكلها كانت
مراكز لتكوين الوطنيين عند علال ولكن كان عليه أن يخرج
من عالم السر الى عالم الجهر ، فدخل المسجد يبشر
بالوطنية من خلال دروس السيرة والتاريخ والتفسير
والحديث ، وكانت الجماهير تلتف حوله لتخرج من الدرس
وهي تعرف أصدق المعرفة معنى الوطنية ، بل معنى
الفداء وكان معظم الذين يحضرون دروسه يصبحون
أعضاء في الحزب ، وكان منهم الذين خاضوا معارك

التحرير في سنوات 36 و 37 و 1944 على الاخص ،
ومنهم الذين استشهدوا والذين عذبوا ، والذين مايزالون
حتى الان عمدة العمدة في حزب الاستقلال

وكانت وسيلته ايضا الى تكوين الوطنيين ما كان
يكتبه من مقالات كلما تمكن من ان يكتب ، وما القى من
محاضرات وما ادلى من احاديث وما قال من قصائد وما
انشد من اناشيد مايزال قدماء الوطنيين يعترفون بأنه:
الدرس الاول الذى اخذوه فى الوطنية

وكانت وسيلته أيضا الى تكوين جيل الوطنيين المثل
الذى كان يضربه بنفسه ، فلم يكن يتأخر حينما يدعو داعى
الفداء الى ان يفدى وطنه بنفسه فسجن ونفى وشرذ
ولكنه ظل صامدا صابرا مناضلا وبذلك اعطى مفهوم
آخر للوطنيين هو الصمود والصبر والنضال الى آخر
رمق

وكانت الوطنية عنده ايضا تعنى الوطن بكامله فقد
ورثنا مغربا لا يشعر فيه المواطن بأنه فى وطن الا من
خلال المدينة او القرية او القبيلة او الحومة التى يعيش
فيها واصبح الوطن عنده موريطانيات وتوات وتندوف
والساقية الحمراء ووادي الذهب وسيدي افنى وسبتة
ومليلية قبل ان يكون فاس او الرباط او الادار البيضاء
وبذلك اعطى البعد الحقيقى للوطنية وظل هذا البعد
يلازمه حتى نداء الكويت قبل ان يسلم الروح بأسبوع .

وكانت الوطنية عنده جهادا لا ينتهى بالاستقلال
السياسى ، ولكنه يبتدىء فى معناه الاكبر بالاستقلال ،
ولهذا فالوطنية تعنى التحرر من الاستعمار الفكرى عن
طريق التعليم واللغة والتبعية الفكرية ، والاستعمار
القضائى عن طريق القانون ، والاستعمار الاقتصادى عن
طريق الرأسمال ، والاستعمار الاجتماعى عن طريق ظلم
المواطن او احتقاره استغلاله او تحريف عقيدته ولذلك
ظل يجاهد حتى الرمق الاخير من اجل ان يحقق هذه الابعاد
جميعا للوطنية

كان يرحمه الله يفخر بانه وطنى ، ويختار هذه
النسبة للوطن عن النسبة لاية ايدىولوجية اخرى لانه اختار
ان يلتصق بالوطن وان يناضل فى سبيل الوطن وان يكون
مواطنيه على ان يكونوا وطنيين بالمعنى النضالى الذى
اعطاه للوطنية

وما أشك فى ان كلمة الوطنية تفخر بالمفاهيم العظيمة
التي شحنتها بها علال الفاسى

المقاومة

ومواجهة التحدي

إذا تلف أن علل الفاسى ابن المقاومة وزعيم المقاومة نكون قد رسمنا صورته الوطنية فى بعدها الحقيقى فقد كان وهو فتى يحلم بأبطال المقاومة منذ ادريس حتى ابن تاشفين وعبد الله بن ياسين وعبد المومن بن على ، حتى ابطال وادى المخازن حتى موحى وحمو الزياني وماء العينين وآمزيان وعبد الكريم الخطاى

ولذلك كان يومن منذ البداية أن الاستعمار لا يمكن أن يخرج الا بالطريقة التى دخل بها فلم يكن احتلال المغرب عن طريق السياسة وبيع الذمم ، ولكنه احتل بالسلاح ، ولذلك لا يمكن أن يخرج الا بالسلاح

لم يكن علل يؤمن بالعنف ولكنه كان يومن بالنحدى ولذلك كلما عز على الحزب — فى عهد الاستعمار — أن يقنع ادارة الحماية بتغيير السياسة الاستعمارية كان يدعو الى تجنيد المواطنين ليواجهوا هذا التحدى بمظاهرات واصطدامات يمكن أن تؤدى الى عنف نسبى

بين الجانبين حتى تزرع في قلوب المواطنين الرغبة في
التحدى كان ينجح في كثير من الاحيان في اقناع اعضاء
الحزب للسير في هذه الخطة ، وكان يفشل في الاقناع ،
ولكن مواجهة التحدي بمثله كان هو السبيل التي اتبعها
في تفكيره السياسى مع الاستعمار

وحينما بلغ التحدى مداه فأعلن الفرنسيون عن عزل
محمد الخامس ونفيه ومبايعة دمية نصبها جنرال فرنسى
على عرش المغرب أعلن دون كبير روية أن المقاومة يجب
ان تنطلق وطالب الشعب في نداء القاهرة بأن يقاوم
السياسة الفرنسية بالعنف وأن يثهر الحرب على الإدارة
الفرنسية وصنيعتها على العرش الى أن يتحقق الاستقلال
ويعود محمد الخامس وأعلن باسم حزب الاستقلال
وباسم العلماء الذين كان لهم وحدهم الحق في العزل
والبيعة عدم الاعتراف بأى نظام غير شرعى تصطنعه
الحماية الفرنسية

نداء للمقاومة لا يمكن أن يصدر الا عن مقاوم اصيل
اندفع بتلقائية ليعلن مقاومة الاستعمار بالعنف بعد أن
فشلت جميع الوسائل لاقتداع الاستعمار باستقلال المغرب
وحريته بالمفاوضة والفاهمة

ولم تكن مقاومة علال من النوع السطى ، ولكنه كان
مقاوما ايجابيا ، فقد كان يعرف أن المقاومة حرب لا
تدار بالنداءات والبلاغات والاتصالات الدولية ، وإنما

تدار بالعمل ولهذا كان عمله الاول بعد نداء القاهرة هو تنظيم المقاومين الذين تكونوا في بداية الخمسينات وقبل العدوان على ائحزب في ديسمبر 1952 ، تكونوا في خلاياه ، وتدير السلاح والتخطيط للعمل من جهة اخرى. سرعان ما اتصل ، مع الةلة الةى كانت تعمل معه في لقاهرة مع خلايا المقاومة في المغرب . وكلها كانت خلايا من حزب الاستقلال ان لم يكن يعرف المرادها واحدا واحدا فقد كان يعرف تنظيماتا . واستطاع من خلال اتصالاته في تطوان ومريد ان يفتح الاسبانيين بغض الطرف عن تحركات المقاومين وتنظيمهم وتدريبهم والتجاء المتابعين منهم ، واستطاع عن طريق اتصالاته باعضاء الحزب في فرنسا وبلجيكا ان يؤمن السلاح الضروري لشباب المقاومة فلم تكذبدا بسكين في يد البطل الشهيد علال بن عبد الله بعد ايام من نفى محمد الخامس حتى اصبحت المدن المغربية ، وخاصة ادار البيضاء ، تعج بالمسدسات والقنابل والمدافع الرشاشة ذلك لان السلاح لم يعد يهرب الى المغرب بالقطع ، ولكنه اصبغ يهرب بالاحمال

ومن صفوف خلايا حزب الاستقلال ظهر آلاف الابطال الذين كانوا يستمدون الوحي من علال والتنظيمات الةى يقوم بها ولم يكن انزرقطونى رحمه الله الا احد هؤلاء الابطال الذين ساهموا بقسط كبير في تنظيم المقاومة

والقيام بها عمليا والذين خرجوا من تنظيمات الحزب
للعمل المسلح قبل أن تقدم الإدارة الفرنسية على تصفية
الحزب

ولم يقتصر عمل علال على تنظيم هذه المقاومة
الداخلية في المدن وعلى تزويدها بالسلاح والاشرفاء على
تدريب أبطالها وايواء من نجا منهم من المطاردة ، ولكنه
اتجه الى عمل اعظم وهو تنظيم جيش التحرير في المغرب
والجزائر للقيام بالحرب العملية في الجبال ضد الاحتلال
الفرنسي ففي مكتب المغرب العربي اجتمع ستة اشخاص
في غرفة مقفلة اثنان من الجزائر أحدهما ابن بلّة — فيما
أذكر — واثنان من المغرب هما علال الفاسي وعبد الكبير
ابن المهدي الفاسي ، واثنان من ضباط المخابرات المصرية،
أحدهما فتحى الديب ، وتقرر أن يكون جيش تحرير يشمل
المغرب والجزائر ، ويبدأ عمله في الاوراس في فاتح نوفمبر
1954 ثم في بوردوا وكنول وتيزي وزو بالمغرب في
أكتوبر 1955

كان يعرف بحسه السياسي وبشمولية تفكيره
وبقدرته على التخطيط أن الاستعمار لا يمكن أن يندحر في
المغرب أو تونس إذا لم يهدد من الجزائر ، وأن الجزائر
لا يمكن أن تتحرر إذا لم يتحرر المغرب وتونس ولهذا
بدأت العملية في الجزائر ، ولكن السلاح الذي دخل
للجزائر جاء عن طريق المغرب في باخرة سياحية صغيرة

كانت تملكها السيدة دينا الزوجة الاولى للملك حسين ، وكانت قد افترقت عنه ، وحملت الباخرة السلاح الى الناضور ، ومن الناضور نقله المقاومون عبر الحدود المغربية الى الجزائر قبل ان تبدأ المعركة في الاوراس وبلغت المقاومة أشدها في المدن المغربية واخذ الفرنسيون يميلون الى التفاوض مع حزب الاستقلال تحت ضغط هذه المقاومة ولكن حس المقاوم علال ابي الان يدخل جيش التحرير للمعركة حتى ينهى الاحتلال الفرنسي على يد المقاومة لا عن طريق المفاوضات السياسية وبدأ جيش التحرير عمله

ويشهد التاريخ ان علال الفاسي كان ضد اى عمل لايقاف عمليات جيش التحرير الى ان يتم الجلاء العسكرى عن المغرب ثم كان يهدف الى تحويل جيش التحرير للقيام بتحرير مناطق الصحراء التى لم تشملها محادثات ايكس لبيان

ويشهد التاريخ انه ظل يقول حتى آخر ايامه لقد كان فى استطاعة جيش التحرير ان يكفينا مؤونة ضياع اجزاء من بلادنا واستمرار احتلال اجزاء منها حتى الان ولا نكتب التاريخ حتى نحل هذه القضية التى انتهت بتصفية المقاومة التى قام بها جيش التحرير ، ولكننا فقط نرسم صورة المقاوم علال فى ابعادها الحقيقية وهى وحدها تؤكد انه اكتسب زعامته بالعمل الغدائى الى جانب

العمل السياسى ، فكرته عن أن تحرير المغرب لا يمكن أن يكون الا بالطريقة التى احتل بها فكرة صائبة وقد نفذها بالفعل ، فكانت المقاومة هى الوسيلة التى اسرعت بتحرير المغرب ويعود الفضل الاول فى ذلك الى الابطال الذين وهبوا حياتهم فداء لبلادهم ، وكان فى مقدمتهم علال الفاسى الذى طالما تعرض لاعتداءات اثيمة كاد يذهب ضحيتها فى القاهرة ومدريد والمغرب لانه أعلن المقاومة التى لا تحرير بدونها

الرسالة

كثير من الناس يعيشون ويموتون دون أن يتصرفوا
في حياتهم لان الحياة تتصرف فيهم فتسير بهم حيث
يدرون ولا يدرون ومن ثم تجدهم على هامش الحياة قد
تسير بهم أو بدونهم دون أن تضيف شيئاً أو تخسر
وكثير من الناس يفرضون أنفسهم على الحياة فيتصرفون
في حياتهم وحياة عصرهم ويدولون مجرى التاريخ
بتأثيرهم العملى

وما ذلك الا لانهم يحملون رسالة
وقد كان علال من هؤلاء الذين حملوا رسالة ضخمة
مذ قال

ابعد مرور الخمس عشرة العب
والهو بلذات الحياة وأطرب
ولى أمة منكودة الحظ لم تجد
سبيلا الى العيش الذى تتطلب

الى ان قال فى أخريات أيامه
ولئن قضيت على الطريق فحبذا
ما نلت من شرف الشهادة فى العمل
ولسوف يكمل ما بدأت أحببى
فهم الضمان لكل خير يعتمل

كان منذ البداية حتى النهاية يتحمل رسالة ضخمة
رآها بموهبته ونظرتة البعيدة فى أواسط العشرينات
والظلام مخيم بكثافة على هذه البلاد ، وتحملها فى شجاعة
المؤمن بها المقدر لخطورتها الواثق من قدرته على تحملها
المضحى فى سبيلها المخطط للقيام بها وتنفيذها

من ايمانه بهذه الرسالة وقدرته على تحملها استطاع
ان يؤمن باستقلال المغرب وقدره الشعب على استرجاع
هذا الاستقلال فليس من السهل ان يكون انسان فى
عمق المنفى بقلب افريقيا والحرب يومئذ غامرة أطراف
العالم ثم لا يجد طالبا يقدمه لضابط مناضل فى سبيل
استرجاع الامبراطورية الفرنسية الا استقلال المغرب
ومن ايمانه بهذه الرسالة بدا قبل ذلك نضاله فى كل
الجهات التحررية الفكرية والسياسية والاقتصادية
والاجتماعية

ايمانه بالرسالة كان يجعله يتخطى الميدان الضيق
الذى يفترض انه يعمل فيه كزعيم سياسى فيوجه
الشعب فى الميدان الروحى والمادى على السواء ، ويشرح

الاسلام فى الوقت الذى يتحدث فيه عن تنظيم الاقتصاد ،
ويناضل من أجل الديمقراطية فى الوقت الذى يناضل من
أجل حماية الأسرة وتنظيم العائلة ، ويخطب فى مركز
الحزب ومن هناك إلى المسجد

عمله لم يكن يأخذ طابع الاختصاص السياسى أو
الوطنى ، ولكنه يشمل العمل الثورى لتطوير المجتمع
لأنه لم يكن سياسيا محترفا وإنما كان رجلا ذا رسالة
وهو فى رسالته لا يعترف بالحدود الضيقة للفكرة ،
وإنما يأخذ الفكرة فى شموليتها المطلقة الاستقلال عنده
لا يعنى التحرر السياسى ولكنه يعنى التحرر الوطنى
(بكل أبعاد الوطن) والتحرر الاجتماعى والتحرر الفكرى
وكثير من قصار النظر كانوا يعتبرون هذه الشمولية نوعا
من الجهد الضائع فى الميادين المختلفة ولكنه كان يعتبر
عمله كما قلنا فى حدود الرسالة التى يتحملها ، ولا حدود
لها إلا فى إطار التحرر المطلق من كل ما يمس الاستقلال
بالمعنى الحقيقى للاستقلال

وهو لا يعترف بالحدود الضيقة للوطن حتى لا تكون
رسالته فى دائرة البلد الضيق والوطن الضيق **والمجموعة**
الضيقة ومن ثم كانت رحلاته العديدة فى شرق البلاد
وغربها وشمالها وجنوبها ليتحدث إلى كل أصناف الناس
ثم رحلاته فى كل أرض يمكن أن يرحل إليها ليبشر برسالته،
حتى لا يترك هذه الرسالة مقتصرة على الأهل والأقربين

وما زار بلادا عربيا أو اسلاميا أو غربيا الا كانت رسالته
في يده يبشر بها أينما حل وارتحل

الرسالة التي دهنها علال هي التي جعلته يرى العمل
الوطني كلا لا يتجزأ فلا يهادن موضوعا لانه يريد أن
ينجح في موضوع بل انه ليعتبر النجاح غير نجاح ما دام
لم يحقق الهدف كاملا محترفو السياسة يعتبرون عملا
كهذا غير سياسى ، ولكنه كان يعتبره في عمق الرسالة
التي يحملها المثل على ذلك قريب فقد أبى في بداية
الاستقلال أن يعترف بالاستقلال الذى وعدت به فرنسا
وأعلنته في اتفاقية ثانى مارس 1956 لانه كان يعتبر
الاستعمار الذى تهرغ المغرب فى وحله منذ سنة 1912
أكبر من هذا الاستقلال الذى اعترف به فى سنة 1956
ولذلك كان يطالب بجميع الاراضى المغتصبة وفى مقدمتها
الصحراء

هذا نموذج من رسالته التي حملها والتي تعطى
لعمله الوطني بعده ألقى

وفى غمرة المعركة السياسية — مثلا — كان يشارك
فى المعركة الادبية والفكرية مثلا فيسهر مع اتحاد الكتاب
فى مؤتمره حتى الفجر لان عمله هذا جزء من رسالته
لم يقبل أن يتخلى عن هذا الجزء من الرسالة ، لانه لا يملك
أن يتخلى عن ذلك هو واجبه وهو حقه . والذى يتخلى عن
الحق مستعد أن يتخلى عن الواجب ورسالته لا تبيح له

ذلك

كان يرحمه الله يتحمل أعباء الرسالة بكل شجاعة ،
بل بكل اندفاع وليس من التكرار في شيء أن نعيد كلمته
المشهورة لن أموت قبل أن أموت . فقد كان يعتبر التخلي
عن أى جزء من رسالته نوعا من الموت . ومثل علال لا يضع
خذه في التراب طلبا للموت قبل أن يغتاله الموت وهو في
الميدان

التخطيط والمسيرة

كثير هم الذين فكروا وكتبوا وناضلوا وقادوا حركات وطنية أو ايدولوجية لكن الكثيرين منهم توقفوا في الطريق أو انحرفوا عن الطريق أو لم يصلوا الى هدف من الاهداف التي حملوها في بداية عملهم . ونجد في مقدمة هؤلاء الناجحين علال الفاسي

واعتقد ان السر — معظم السر — في نجاحه هو انه خطط لعمله الفكري والوطني مبكرا ، واستطاع ان ينظم مسيرته الوطنية والفكرية طوال السنين التي ناضل فيها ولعلك لو سألته وهو في مفتتح عهده بالعمل لرسم امامك خط السير كما لو كان يبنى على هدى من تخطيط في المسيرة الوطنية تحديد الهدف منذ البداية الاستقلال والوحدة والديمقراطية ونجده يعمل منذ البداية لتحقيق هذا الهدف فما تغير الاتجاه وما ساوم فيه وما تخطى بل وما اصطنع اسلوب المراحل ، ولو انه كان يعرف ان الاستعمار الفرنسي من النوع الذي قد يرتاح

للمراحل أكثر مما يرتاح للمواجهة الصريحة ، وأن بعض
المتحررين من الفرنسيين كانوا على استعداد لقبول شيء
غير الاستقلال ولكن وضوح خط علل كان يبعد عنه هؤلاء
وأولئك ، ولو أنهم أخيراً يحترمون هذا الخط ويقدرّون
صاحبه

في المسيرة الفكرية نجده كذلك مخطئاً عظيماً ، ففكره
الإسلامي والفلسفي والوطني والاقتصادي لم يكن ابن
الأيام والساعات والبدعات (الموضات) ، ولكنه كن
مكراً منظماً نبع عن ثقافة ودراسة وتفكير واتخاذ تخطيط
وإذا كان كتاب النقد الذاتي يعبر أصدق تعبير عن
هذا التخطيط ، وقد كتبه منذ ربع قرن ، فإن الكتاب نفسه
لم يكن ابن السنة التي كتب فيها ، وإنما كان نتيجة تفكير
وتمثل للمشاكل المغربية والمشاكل العربية والإسلامية
وللمجتمع العربي — المغرب نموذج له وصورة عنه —
ونتيجة بلورة لروح الحلول التي يجب أن تكون لهذه
المشاكل

الكتاب إذن تخطيط للمسيرة الشاقة التي خاضها
علل — على رأس حزب الاستقلال — في الربع قرن
الآخر والذين يقرأون الكتاب اليوم يدركون أن الأسس
التي وضعها آنذاك ما تزال هي الأسس التي ينادي بها
الحزب والتي تعتبر أكثر تقدمية من كل المذاهب
والفلسفات التي تعيش واقع شعوبها ، ولا تقتبس من

لا يصلح !بلاد مقتبستها

وهناك خيط يربط الفكر الوطنى بالفكر السياسى
بالفكر الاقتصادى والاجتماعى لعلال وهو روح الاسلام
نقد آمن بأن الاسلام عقيدة وعمل وحياة وفلسفة وحضارة
وفهم الاسلام على حقيقته كما يفهمه فكر مثقف لا يعتنق
الاسلام ويدافع عنه لانه دينه فحسب ، ولكن يعتنقه ويدافع
عنه ويربط الحياة به لانه فى حقيقته كذلك ولهذا فالاسلام
عنده يجب ان يكون المنطلق حينما ندافع عن وطننا لا
نقوم بذلك لانه وطننا ولاننا وطنيون فحسب ، ولكن كذلك
لتبقى هذه البلاد مسلمة حينما نصحح الاوضاع الاقتصادية
نفعل ذاك لبنى اقتصاد هذه البلاد على مثال غربى او
شرقى مقلدين تقليدا اعمى، ولكن لبنىه على مثال اسلامى،
وسنجد فى الاسس الاسلامية للاقتصاد ما يجعلنا نصحح
الوضع ونضمن به العدالة الاجتماعية وكرامة الانسان
ونرفع من مستوى حياته دون ان نقع فى اخطاء الليبرالية
الراسمالية التى جعلت المال سيد الانسان ولا فى اخطاء
الشيوعية التى جعلت الانسان آلة فى دولاى الدولة
و المجتمع

الاسلام ينقذ اُنوجيه الاقتصادى من اخطاء الطرفين
وينير الطريق امامنا لبناء اقتصاد عصرى يستند الى
الاصول العادلة فى تدبير شؤون الحياة
و حينما نفكر فى شؤون الحكم او الادارة او مشاكل

المجتمع من الخلية الأولى (العائلة) حتى القرية والمدينة،
والوطن والاقطار الإسلامية نجد هنا كخيطة يربط هذه
المشاكل ، ويكون سبيلا الى حلها هو الاسلام

وقد قلنا في غير هذا الحديث أن هذا الاتجاه الاسلامي
عند علال ليس نابعا عن تعصب للاسلام ، ولكنه نابع عن
فكر اسلامي يأخذ العقيدة والمذهب والاتجاه من الاسلام
في ابعاده الكبرى ويطبّقها باجتهاد لا بتقليد واتباعية على
المجتمع ، ويرى أنها صالحة لتكون حلا لهذه المشاكل التي
عجزت كثير من الحلول التقليدية عن أن تصل الى
نتيجة ما

هذا التخطيط هو الذي وجه مسيرة علال الفكرية
وإذلك لا تجد تناقضا كبيرا ولا تشتيتا للجهود الفكرية حينما
يعنى بقضية التحرر الوطني في الوقت الذي يعنى فيه
بشؤون العائلة أو حينما يعنى بجوهر التوجيه الاقتصادي
حينما يعنى بأصل الشريعة أو بالدفاع عنها ، أو حينما
يعنى باسترجاع الصحراء في الوقت الذي يعنى فيه
بمسلمى الفلبين هي شمولية فكرية كاملة ، ولكن هناك
خيطة يربطها نابع عن فكره الاسلامي المتحرر ، ومعتمد
على تخطيط محكم يأخذ طريقه في مسيرة طويلة لا نبالغ
إذا قلنا انه بدأها منذ بدا العمل الوطني ، وانتهى فأسسه
الروح وهو ما يزال يسير

ثائر لا اتباعي

حينما يعيش الفكر المتحرر بين مختلف القيود التي تمنع هذا التحرر عن الانطلاق تنبت اصول الثورة الفكرية في هذا الفكر لاجتثاث القيود المانعة والانطلاق في عالم الحرية عالم الابداع والانتاج والانجاز وقد كان علل ثائرين لا ثائرا واحدا ذلك لانه رجل فكر ورجل وطنية وسياسة وثورته في كلا الميدانين ناشئة عن انه عاش في عصر القيود والسدود فكريا ووطنيا ولم تكن شخصيته ولا فكاهة وطموحه وثقافته لتجعل منه مسلك للاوضاع الفكرية والسياسية الاستعمارية التي عاشت فيها بلاده ، ولذلك انتهى الى ان يكون ثائرا في الميدانين وقد حقق من ثورته اكثر مما اراد في عالم الفكر وفي مجتمع المغرب وبلاد العروبة والاسلام وجد نوعا من الوثنية الفكرية ان صح التعبير

فهم مخطيء للاسلام ومجموعة من الخرافات والبدائيات
تنتسب للعلم وتلتصق بالدين وجمود عند نماذج من الكتب
باسم الدراسة ، وثقافة ضحلة لا تنتسب للماضى المشرق
!!فكر الاسلامى ، ولا تستجيب لحاجات العصر ولا ترفع
مستوى الفكر ولا تفتح عيون الدارسين على حاضرهم ،
بل ان تفتح غيونهم على غدهم

فى وضع كهذا لا يمكن لمثقف كعلال الفاسى ان يقف ،
سائبا من هذه الاوضاع وقد ضرب بنفسه المثل ففتح
عينيه على كتب التأثير فى الفكر الاسلامى من ابن خلدون
وابن تيمية وابن القيم وجمال الدين ومحمد عبده وشكيب
ارسلان ثم اخذ يكتب ويحاضر ويبيث **النورة الفكرية** فى
تلاميذه ومريديه تماما كما فعل الثائرون الفكريون فى
مختلف العصور وفى مختلف البلاد

ثم فتح نوافذ فكره على الثقافة الحديثة ، فلم يكن
العلم عنده شهادة بعزبرها جواز المرور لنى وظيفة او
عمل ولكن العلم ... من ثقافة فكرية وعملية مناضلة فى
سبيل الغد الانسانى الافضل وقد دفعته ثورته الا يتخرج
عن دراسة الفكر الانسانى منذ كان عند اليونان او
الصينيين او الهنود ، وعند المسلمين على مدى اربعة
عشر قرنا فى مختلف المراحل الالامعة والخابية على السواء ،
العملية والخيالية المنطقية والصوفية ثم وصلت به
ثورته الفكرية ان يتبع مراحل التطور الفكرى الحضارى

الحديث عند الماديين والعلمانيين والمسيحيين والملحدين
وعند المفكرين الوضعيين والموضوعيين

كان كل ذلك زاده في ثورته الفكرية سواء في فهم
الاسلام على حقيقته وفي بناء المجتمع الاسلامى العربى
كما يرى انه يجب ان يكون ، وفي وضع التخطيط لبناء هذا
المجتمع المتحرر التائر على كل القيود وعلى كل الاوضاع
والتقاليد واذا قلنا انه وضع اصول هذه الثورة ومبادئها
وتخطيطها في كتابه العظيم النقد الذاتى « لن نكون
مبالغين لاننا نعرف قيمة هذا الكتاب الذى هو خلاصة
فكر بناء عاش الفكر والحياة التى ينتقدها والتى يريد ان
يغيرها وعاش كذاك بفكره المتوقع الحياة التى يجب ان
تكون في بلاد تبحث عن حياة الفد

هذه الثورة الفكرية: كلفته الكثير ، وليس اقل ما كلفته
هذا انضال الفكرى المتواصل في عالم الادب والفكر والعلم
كاتباً ومحاضراً ومتنقلاً ومصارعاً وليس اقل ما كلفته انه
— باستقلاله الفكرى — نسب اليه الكفر والمروق تارة ،
ونسب اليه الجمود والرجعية تارة لانه لم يكن قط الا ثائراً
على الجامدين ، وثائراً على الامعات والمقلدين والاتباعيين
في كل ميدان يكتنفه الجمود او او تغشيه الاتباعية

والثائر الثانى في علال هو الثائر الوطنى السياسى
الذى وجد بلاده منذ ان وعى فكرياً — وقد وعى مبكراً —
انها أصبحت مستلبة وطن محتل ممزق اجنبى يتحكم في

مصيرها مواطن يعيش كما يعيش العبيد افتقد حريته
وكرامته حكم منهار افتقد مصيره أرض مستلبة يعيش
فيها الاستغلال والانتفاع والسدقة

وضع كهذا لا يمكن أن يزول عن طريق الإصلاح
والتغيير التدريجي لأن الذين كانوا يتحكمون في مصير
البلاد كانوا يخططون للقضاء على شخصيتها حتى تصبح
الأرض ملكا لهم والانسان عبدا في خدمتهم واذلك كانت
الثورة هى سبيله الى هذا التغيير

في تاريخه الوطنى الحافل كان يعمل ليل نهار على
تكوين المواطنين الثائرين وهذا هو الذى فهمه بحق
المستعمرون من دراستهم لشخصية علال ، فتجسمت
رغبتهم لا في معاقبته ، لانهم كانوا يدركون ان العقاب
الذى تعرض له عدة مرات لم يزدده الا تشبثا بهذه الثورة
ولكن في القضاء على هذه الشخصية . واذلك كان نفيه الى
اواسط افريقيا تسع سنوات كاملات ، وكانت محاولات
اغتياله المتكررة هى منطقهم العاجز لازاحة هذه الثورة
التي اجبها في طريقهم

وظل علال رعم كل ذلك ثائرا حتى عاد الاستقلال
السياسى عن طريق الثورة فبدأ ثورته لاستعادة
الأراضى المغتصبة والحدود المقتحمة وبثورته التى لم
تعرف مهادنة رسخ في الفكر الوطنى المغربى النضال من
أجل الوحدة كما رسخ من قبل النضال من أجل

الاستقلال

هذا النموذج الثائر الذى يقدمه علال يسلكه فى عداد
الثائرين لا فى عداد الاصلاحيين ولذلك كانت افكاره
فى الدين أو العلم و الاقتصاد أو الديمقراطية أو التحرر
السياسى أو المحافظة على المكتسبات الوطنية أو استعادة
الحقوق الانسانية للانسان **المغربى واستعادة كرامته**
كلها نماذج من الفكر الثورى الذى تمتع به

والى هذه الثورة التى أججها فى المجتمع المغربى يعود
الفضل فى تكوين الاجبال من الشجاب الذين يحملون فكر'
ثوريا لا اتباعيا ، فسراء الذين عايشوه أو تتلمذوا عليه
أو قراوا كتبه كلهم يعتبرونه نموذجا ثوريا فى المجتمع المغربى
خصوصا ، وفى المجتمع العربى الاسلامى

والفكر الثورى فى العصر الحاضر هو الفكر الخلاق
المبدع المنتج وهو الفكر الذى تبحث عنه كل المجتمعات
المتطورة حتى لا تقف الحياة عند التقليد أو الاتباعية
الاصلاحية المتخاذلة

فكر متحرر تطبعه الأصالة

الإصالة

العصرية

المعاصرة

كلمات تعرض اليوم في تقويم المذاهب والأفكار والقيم والشخصيات ، ويسرع الحذر إلى المحللين وهم يفرقون بين هذه القيم ولكنهم نسياً اعتقد يتناولون الموضوع من جانبه النظرى فيهيمنون في عالم المنطق الصورى في الوقت الذى كان يجب أن يعالجوا الموضوع بواقعية الباحث النصف المتمتع بحاسة الفهم السليم لكل هذه النظريات وعلال الفاسى خير من يمثل انعدام التناقض بين الإصالة والعصرية ثقافته الأولى بدأت أصيلة ، ولكنه لا يعرف الإصالة في القديم أو في التراث فحسب ، وإنما يعرفها في الفكر النير الذى يأخذ من علم الأولين والآخرين ويعرض كل ما تعرف عليه من نظريات على فكره المتفتح

ليقول كلمته وليناضل في سبيل هذه الكلمة
الدين عنده لا يتناقض مع العصرية ولكنه يخلص الدين
— كما قلنا في فصل سابق — من كل الخرافات
والترهات وما علق به من جهل الجاهلين وضلال المضلين
وبذلك فالدين عنده متفق مع الفكر العصري ، ولا يضيق
به الا فكر جادد او منخلف

وجميع النظريات الفلسفية او الاجتماعية او القانونية
يمكن ان تجد اصولها في التراث الاصيل وتجد بعضها في
الفكر العصري ، ولكن الاصاله ليست في ان تقف مع
الماضي وتقف مع النظريات العصرية فحسب ، الاصاله
والعصرية معا هي ان تبحث عن الهدف من الفكرة والنظرية
وتستغلها لصلحة الامة كلما كانت صالحة ، وتنبذها كلما
كانت غير صالحة ، دون ان تكون متأثرة بكلمة اصالة او
بكلمة عصرية

الاصالة كانت طابع فكر علال الفاسي
ولكن الاصاله تعنى عنده الفهم الصحيح للمشكل واخذ
الصالح من الحلول مهما يكن مصدرها
اصالته في انه عالم لا تخضعه الافكار المسبقة ، ولا
تفرض عليه النظرية او الاتجاه او السلوك
واصالته في انه يناضل لا ليحقق نظرية قال بها
الاخرون ولكن ليحقق نظرية اهتدى اليها بنفسه ولو
رفضها جميع الاولين والاخيرين

من هنا كان يحنهد مثلاً في الفقه — وفروعه على
الاخص — فلا يأخذ بأية نظرية لم يقتنع بها ، ولو انه ملك
قوام ثقافته الفقهية نظريات الامام مالك

وكان يجتهد في الاقتصاد فيعرض نظريات الرأسماليين
الليبراليين والاشتراكيين بكل طبقاتهم والشيوعيين ، بعد
أن يدرس كل النظريات الاقتصادية في الاسلام ويختار عن
طريق الاجتهاد احسن النظريات التي اهتدى الى صلاحها
وقد تجده في جزء منها اسلامياً صرفاً ، وفي جزء منها
اشتراكياً او ليبرالياً ، ولكنه يهتدى بالاصل الذي خطته
لنفسه وهو مصلحة الانسان ، ومن كل ذلك تعرف اصالة
فكره

وكان يجتهد في السياسة فلا تفرض عليه الظروف
موقفاً معيناً وانما يعرض كل الظروف وكل المواقف على
المصلحة الشعبية كما يراها ويهتدى الى الحل بفطرته
الاصيلة ثم يناضل في سبيل تنفيذ هذا الحل
قل مثل ذلك في كل الميادين التي عمل فيها تجده فيها
اصيلاً ، وليس عالة على قديم ولا على جديد ، وانما هو
يمثل نفسه بكل ما يملك من قدرة على التفكير والاستيعاب
والمقارنة والفهم والامتناع

هل يناقض فكر علل العصرية ؟

هذا هو السؤال الذي يطرحه الكثيرون الذين لا
يعرفون شخصية علل الفاسي ، أو الذين لم يقرأوا له

كثيرا أو الذين يروونه يتحدث في شؤون القرآن والحديث،
والفقه والفكر الاسلامى

واذا كان احسن جواب هو ان نرشد هؤلاء الى قراءة
كتب علال الفاسى ومحاضراته ودروسه القرآنية ابتداء
من كتبه الدينية او الفقهية كدفاع عن الشريعة حتى كتابه
الفكرى العظيم كلنقد الذاتى ، فاننا مع ذلك نقول هؤلاء،
ان العصرية والاصالة — ولو فى أبسط معانيها — تتلاقيان
فى فكر علال الاصالة هى ان تكون جادا فيما تفكر فيه
وما تعمله وما تبتكره ، والا تكون عالة على الغير ولو كان
هذا الغير أقدم القدماء أو أحدث المحدثين

لهذا كن علال لا يضيق بأية فكرة جديدة ، ولا يرفض
قراءة أى كتاب جديد بل ولا يستنكف عن ان يناقش أى
كاتب ولو كان من الذين يهرفون بما لا يعرفون
مكتبة علال صورة من فكره

وهى وحدها تنبئك عن معنى الاصالة ومعنى العصرية
عند علال الفاسى ، وكم كان يطرب للفكرة الجيدة والكتاب
الجيد ولو لم يتفق مع صاحبه فى أغلب ما كتب وفكر ، وكم
كان يضيق بالفكرة الممجوجة المكرورة ولو كانت تتفق
مع افكاره

يمكن ان اقول انه أكبر عصرى يعرف القديم ويقرا
كتب القدماء وأكبر قديم يعرف الجديد ويقرا كتب المحدثين
ومن ذلك اعتبره أكبر اصيل عصرى أنتجه الوطن
العربى والاسلامى

شجاعة في التفكير وفي كلمة الحق

كان فكر علال الفاسي يطبعه أول ما يطبعه الشمولية
في الفكر

وكانت البداية التي يعرف بها الفكر المناضل الملتمزم
الشمولية الفكرية وما أشك في أن هذا الاتجاه مستمد من
شخصيته التي كانت تطبعه الشمولية بكل آفاقها الواسعة.
وما كان لشخصيته أن تبرز في شموليتها لولا الشجاعة التي
كان يتحلى بها

شجاعة في التفكير وشجاعة في العقل ، وشجاعة
في ارتداد الآفاق وشجاعة في اعلان ما يؤمن به من كلمة
الحق

كانت ثقافته في بدايتها ثقافة اسلامية لكنه كان
اشجع فكريا من أن يقتصر على ما درس وما أهه تعليمه
الاولى له لهذا اخذ يتحرر من التعليم الجامد فيرتاد كل
الآفاق الاسلامية من الفلسفة والتصوف حتى الفقه

والاصول وعلوم الحديث والقرآن ولكن معرفته اخذت
تتسع بارتداد الآفاق التي لم يكن المثقفون من جيله يرتادونها
فقرا في كل ميدان فكري وكون آراء خاصة لم تكن
تنقصه الشجاعة ليدلي بها ولو خالف معظم الذين
درسوا او كتبوا في الثقافة الاسلاميه

والذين حضروا محاضراته او قرأوا كتبه لم يكونوا
يعجبون لسعة اطلاعه فحسب ولكنهم كانوا يعجبون
كذلك لشجاعته في التفكير وشجاعته في اعلان ما ينوصل
اليه من آراء وافكار

مثل هذه الشجاعة كانت رائده في الدراسات التي
كان يقوم بها ، والتي كان يعتبرها البعض وقفا على ذوى
الاختصاص ويكفى أن تقف أمامه وهو يفسر القرآن مثلا
في حديث ديني لتجده يحلل آخر النظريات الفلسفية او
الاقتصادية او الاجتماعية عند المفكرين من كل اتجاه
ويعرضها على الفكر القرآني فيقبل منها ما يقبل ويرفض
ما يرفض ويستخرج رايه الخاص يكون كلمة الفصل
في موضوع لا يتهيبه كثير من العلماء فحسب ، ولكنهم لا
يستطيعون مواجهته ان لم ينقصهم العلم في ذلك فقد
تنقصهم الشجاعة

من شجاعته الفكرية كان يستمد شجاعته في اعلان
كلمة الحق التي يؤمن بها ولو تفرد بهذا الايمان ومن
ثم كانت كثير من متاعبه سواء قبل الاستقلال او بعد

الاستقلال ومن ثم كثرت المواقف التي عرف بها والني لم يكن يقبل التنازل عنها لان له من الشجاعة ما كان يجعله يقف عندها في صلابة وجراة

لقد طبع علال حزب الاستقلال بهذه الشجاعة في الاعلان عن مبادئه والوقوف عندها نستطيع أن نعود الى جزئيات الماضي منذ بدايات الحركة الوطنية لو كان الوقت يتسع ، ولكننا فقط نريد أن نسجل ان شجاعة علال كانت تسير به الى التفكير في الاصطدام مع الحكم الاستعماري حتى في كثير من الاوقات التي يكون رأى زملائه في الحزب متجها الى ان الاصطدام قد يكون في غير صالح الحركة لانه كان يعتقد أن اصطدام الشعب بالادارة الاستعمارية احراج للحكم وخلق لمشكلة على الحكم ان يفكر في حلها ولن يكون الحل الا عن طريق التنازل في النهاية وقد انقذت شجاعته الحزب في كثير من المناسبات

36 و 37 و 51 و 53 و 59 وغيرها من المواقف كثير واتخذ الكثير من المواقف السياسية التي كان يواجه فيها اجماعا او شبه اجماع وما موقفه من قضايا الصحراء التي كان له الفضل في ايقاظ الوعي بها ، وما هذا الموقف الذي صاحبه حتى آخر رمق من حياته عنا ببعيد

وتجلت الشجاعة في مواقفه ومعاركه الضارية التي خاضها من اجل القيم الكبرى للبلاد الاسلام ، اللغة

العربية الديمقراطية الاستفتاء في الدساتير ،
احترام مكتسبات البلاد في القضاء ، في الحريات العامة
في كرامة المواطن في القضاء على رواسب الاستعمار
في مواجهة السلطة

واكثر ما كانت تتجلى شجاعته وهو يقنع بفكرة
ارتأها ووجد الاجماع — مثلا — ضدها كان لا يعلن
فكرته حتى يؤمن بها بعد أن تختمر في نفسه ، وحينما
يعلنها يستمع — بشجاعة نفسية — الى كل الاعتراضات،
ولكنه بعد ذلك يأخذ في الاقناع ، وهو يؤمن بأنه
سينتصر كثيرا ما كان يحقق الهدف نحن زملاء في اللجنة
التنفيذية للحزب وتلاميذه في التفكير والعمل نعترض
ونناقش وعلن عدم الموافقة ولكنه لا ييأس فاذا وصل
معنا الى اقناع فتلك نتيجة من نتائج شجاعته الفكرية
وان كانت الاخرى اعلن لنا في شجاعة ايضا انه غير
موافق ولكنه معنا لانه ديمقراطي بطبعه ولا يملك الا
ان يكون مع الاغلبية

لم يكن شيء ، مهما عظم ، يقف في طريقه وهو يفكر
او يعمل ذلك لانه يعرف الهزيمة في افكاره وعمله
ومن الصعب بأن تقنعه بأن عملا ما قد يكون صعبا أو
مستحيل التحقق ذلك لانه يتسلح بكل شجاعته ليتحمل
مسؤولية انجاح العمل والنجاح عنده هو العمل نفسه .
وما شيء يضيع ولو بدا انه غير ناجح

لقد علم تلاميذه كرائد مفكر أن يكونوا شجعاناً في
معالجة المشاكل ، وفي ارتياد آفاقها ولم تكن دروسه في
هذه الشجاعة نظرية بقدر ما كانت عملية
يرحمه الله فقد كان دائماً يعطى من نفسه وعمله
المثل

المسؤولية الفكرية والسياسية

العمل مسؤولية

هكذا كان يؤكد زعيم التحرير علال الفاسي وهو
يفكر أو يعمل في النطاق العلمى أو النطاق الوطنى
السياسى

وتأكيدده يشعر بأنه كان يقدر معنى المسؤولية ، فلا
يتحمل ما يتحمل منها إلا وهو عازم على القيام بها ، وقد
وفى رحمه الله بما تحمل من مسؤوليات وأداها كأحسن
ما يكون الاداء

المسؤولية التى تتحملها ذاتيا اعظم من المسؤولية التى
بحملها لك الاخرون لانها تعتمد على المبادرة والابتكار
اكثر مما تعتمد على التنفيذ

وقد كان علال مبتكر مسؤوليات منذ ان وعى معنى
المسؤولية فلم يكن ينتظر ان يكلفه الاخرون بمسؤولية
ما ، ولكنه كان يحس بهذه المسؤولية ويقدرها وينيط نفسه
بتنفيذها

شيئان اثنان امليا على علال مسؤولياته هما وطنه
وفكره .

المسؤولية التي تحملها نحو وطنه كانت اعظم مسؤوليه
يمكن ان يتحملها زعيم في مثل الظروف التي عاشها المغرب
في نهاية العشرينات ثم الثلاثينات حتى اوفى متحملا هذه
المسؤولية خمسين سنة او تقاربها في ظروف كان فيها
الاستعمار متمرا ، وكان المد الاستعماري طاغيا ، ومع
ذلك تحمل مسؤولية قيادة الحركة الوطنية في الاتجاه
الاستقلالي وهو يعرف المصير الذي ينتظر هذه القيادة
كانت مسؤولية ذات وجهين اولهما تعبئة الشعب
للقيام بواجبه في الانطلاقة الوطنية وليس من السهل
تعبئة الشعب في الظروف التي كانت فيها روح الهزيمة
تسيطر على الشعب المغربي بعد الاحتلال وانهيار الدولة
وغلبة المقاومة المسلحة التي شنها ابطال التحرير في
الجبال على امرها

ما من شك في ان الشعب ظل ناقما على الاستعمار
كارها له متطلعا الى اليوم الذي يمكن ان يتخلص منه
ولكن المسؤولية تأتي في اقتلاع جذور روح الهزيمة من
نفوس المواطنين ، وفي اقتلاع جذور الخوف من نفوس
شعب المغرب الخوف من البطش والعذاب والمحنة ، وما
من شك في ان الدرس الذي قدمته النخبة الوطنية بنفسها
حينما تعرضت للاعتقال والسجن والعذاب والجلد والنفي
كان دافعا قويا لمجموع افراد الشعب على ان يستهينوا
بكل تضحية ولو بلغت حد الاستشهاد في سبيل تحرير
البلاد واستقلالها

وقد تحمل علال مسؤوليته كاملة في هذا الاتجاه
ويكفى أنه صرف جزءا مهما من حياته في السجون
والمعتقلات والمنافي وابتعد عن وطنه وعائلته لنذكر أنه قدر
المسؤولية وقام بها

وثانى الوجهين مسؤولية مواجهة الاستعمار
بحسب ما تمليه الظروف والملايسات الداخلية والدولية
وقد قام علال في هذا السبيل — بالاضافة الى تجديد الراى
العام الوطنى وتنظيم الحزب وتوجيهه — بمسؤولية
مهاجمة الاستعمار بن الخارج كانت رحلاته فى المشرق
العربى عملا مهما لاستقطاب البلاد العربية وحكوماتها
ضد الاستعمار الفرنسى ، فى الوقت الذى كانت فرنسا فيه
تتمتع بسمعة ثقافية وحضارية مهمة فى هذه البلاد
وكانت رحلاته الطويلة فى مختلف انحاء آسيا وأوربا وأمريكا
اللاتينية لاستنفار الشعوب والحكومات لصالح القضية
المغربية ضدا على السياسة الفرنسية من أهم جوانب
المسؤولية التى تحملها

ثم تحمل مسؤوليته فى مغرب ما بعد الاستقلال
وما زلنا نذكر قيادته الرشيدة للحزب فى طريق الكفاح لصالح
الديمقراطية والتعادلية الاقتصادية والاجتماعية ، ودفاعه
عن المواطن المغربى ونضاله فى سبيل الاصلاح الزراعى
على اساس الارض لمن يحرثها وفى سبيل تصحيح
المفاهيم فى التعليم والعدل والقانون والحكم الخ
لم تكن مسؤوليته فى هذا الميدان مسؤولية سياسى

العادى الذى يتخذ المبادرة فينفذ ان كان فى الحكم ويوجه
ان كان فى المعارضة ولكنها كانت مسؤولية الوطنى الذى
تتبع المبادرة من ضمير الوطنى اكثر مما تبدر من الحاجة
السياسية وكانت مسؤوليته تتحلى باشجاعة والجرأة
وكلمة الحق يقولها فى ادق الظروف واحرجها ولكنه
يعتبرها مسؤوليته لا يتخذها بصفته سياسيا او رجلا
معارضة ولكن يتخذها باسم الزعامة التى اعترف له
بها الشعب والتى يتطلب الشعب ان يتخذها والا كان
متخليا عن هذه المسؤولية

وذلك ما لم يكن يستطيعه علال الفاسى

المسؤولية الفكرية لم تكن تقل عن المسؤولية السياسية
والوطنية عند علال بل انه كان يعتبر الفكر فى خدمة
الوطن والمواطنين ولذلك لم يكن العلم عنده تجريديا
لم يكن ادبيا لانه فقط يريد ان يكون شاعرا او كاتباً
ولم يكن مجتهدا فى علوم الاسلام لانه يريد أن يكون عالما
ولم يكن يدرس الفكر الفلسفى او السياسى او الاجتماعى
او الاقتصادى ويبتكر النظريات ليكون عالم سياسة او
اجتماع او اقتصاد فلسفة ولكنه كان يتحمل هذه
المسؤولية الفكرية لانه كان يجندها لصالح مواطنيه وبلده
ولصالح العالم العربى والاسلامى الذى كان يعتبره
وطنه الحقيقى

العلم والادب والفكر فى خدمة المجتمع هذه هى
المسؤولية التى تحملها ولذلك كان ينمى على الذين

يعيشون في المجردات والخيالات والمناقشات البزنطية ،
والذين يتركون صوراً من مجتمعهم تبعث على التحليل
الفلسفي أو الاجتماعي أو السياسي أو الوصف الأدبي
ويلجأون الى صور غارقة في التجريد أو مناقشة بعيدة عن
الواقع وان ارضت المنطق الصوري واجترار الآراء
والنظريات

من هذا الجانب الفكري ومن الجانب السياسي معاً
أخذ علال معنى المسؤولية وتحملها بالراي والعمل وهي
التي منحته الزعامة الفكرية والسياسية في العالم العربي
والاسلامي

ادراك البعد الكبير للمسؤولية الكبيرة ، وتحملها بكل
شجاعة هو الذي ميز شخصية علال الفاسي والذين
يبحثون الان جوانب هذه الشخصية بمناسبة وفاته
سيعرفون ان سر شخصيته هو انه ادرك مسؤوليته وتحملها
بشجاعة حتى الرمق الاخير

إستقلال في الرأي

لا ادري اذا ما كانت هذه المقومة من مقومات شخصية علال الفاسي هي خاصية مشتركة بين الزعماء والقادة الذين قادوا بلادهم في فترة ما من فترات حياتهم ولكني متأكد من انها كانت من اكبر مقومات شخصيته اعنى بها الاستقلال في الرأي

كثير من الذين اجتمعوا مع علال الفاسي لقرائن محدودات كانوا يعتبرونه متعصبا لرأيه عنودا في الدفاع عن وجهة نظره ، وسواء اكانت هذه النظرة توحى بالاكبار او التنقيص فانها غير صحيحة عند الذين عايشوه لامد طويل وناقشوا معه الكثير من الاراء ، وخاضوا معه المعارك التي قادها قبل الاستقلال وبعد الاستقلال وهذا الخطأ في تقويم الصورة يدفع بنا الى القول بان هناك فرقا كبيرا بين الاستقلال في الرأي وبين التعصب للرأي

الاستقلال في الرأي يعنى ان المفكر يجهد نفسه في استخلاص رأي خاص به يعتنقه بعد اجتهاد ومجاهدة ولذلك فهو لا يتخلى عنه بسهولة الا اذا اقنعتة الحجة .

وادرک ان رایا آخر أصبح من رایه منطقیا او افید او اعمق ، وعند ذلك یمکنه ان یتخلی عن رایه لصالح الراى المخالف

والتعصب فى الراى وللراى یعنى ان المفکر یتحدد وجهة نظر وقد لا تكون من مبتكراته ثم یتعصب لها فلا یتخلی عنها ولو تبين خطأها

فرق كبير بين المفهومين ویزداد الفرق کبرا حينما يكون المستقل فى الراى یتستهدف مصلحة علیا ، والمتعصب لراى لا یتستهدف الغلبة فى المناقشة والفوز بين الاقران وقد كان بلال من النوع الاول

وكان سبيله الى اعتناق الراى هو الاجتهاد لقد

كان من السهل ان بأخذ اية فكرة ویناقشها لیقتنع بسهولة ویسّر بسلامتها أو عدم سلامتها ، ولكنه كان دائما یجهد فکره مستعینا بثقافته الواسعة وقراءته الكثيرة لكل ما یصدر من کتب وأبحاث ومقالات فى الموضوعات التى یشغل بها نفسه ، یسعه فى ذلك أيضا ذکاؤه واتساع افقه وشمولية فکره والتفكير بالمثال كما كان یعبر ومن کل ذلك تنبع الفكرة عنده فیعيشها لحظات قد تطول ایاما ، ثم یفضى بها مکتوبة أو مسموعة فى مجالسه العلمية أو السياسية أو فى اجتماعات الحزب أو فى محاضرة من محاضراته

عند ذلك یتبرها فكرة له اعنقها عن استقلال ، لم یکن فیها تابعا ولا مقلدا ولا امعة وهنا یتى جانب

التعصب « لهذه الفكرة أو على الاصح الدفاع عنها ربما بحماس في كثير من الاحيان

اكثر ما كان يقرأ كتب ذوى الراى المستقل واكثر ما كان يجادل عن الافكار التى برزت عن استقلال ولذلك كان احب اليه من العلماء المجتهدون مالك والشافعى وابن حزم وابن تيمية والافغانى وعبدى وكان احب اليه من السياسيين المجتهدون مصطفى كامل ، غاندى وكان احب اليه من الكتاب المحدثين المجتهدون والمستقلون فى الراى العقاد ، سيد قطب وكان احب اليه من المفكرين المحدثين حتى من خصوم مذهبه كارودى فى كتبه الاخيرة

هذه امثلة ممن كان يعتبرهم مجتهدين اصابوا فى راىهم او اخطأوا ، اتجهوا اتجاها كان يريد ام اتجاها غير ما يريد ، ولكنه كان يقدرهم ويحترم راىهم لانه صادر عن استقلال

ونحن الذين عايشناه فى العمل الفكرى والسياسى كنا نحس بأنه من الصعب ان يتخلى عن رأيه ، ولكننا كنا ندرك انه لم يتخذ هذا الراى بارتجال وعجلة ، فبالاضافه الى تجاربه كانت تؤرقه المشكلة وهو يبحث لها عن حل فاذا وجده كان من الصعب علينا ان ننفيه عنه ، لان الكثير منا كانوا ينامون ملء اجفانهم فى الوقت الذى كان هو يسهر الليالى الطوال وهو يفكر فى الموضوع الذى يعترض طريقه وسرعان ما كن ندرك بأنه لم يكن متعصبا لرايه ،

ولكنه كان يدافع بامتداع عن رأى اعتنقه باستقلال
ولكنه الى جانب ذلك كثيرا ما كان يتنازل حينما يدرك
ان مجادله يصدر عن استقلال فى الرأى بذل جهدا كبيرا فى
تكوينه والاقتناع به انه يصبح مدافع عنه ويعتبر
اقتناعه به والدفاع عنه نوعا من الاستقلال
وهذا هو الفارق الكبير بين الاستقلال فى الرأى
والتعصب للرأى

ويظهر ذلك للذين لم يعايشوه شخصا مفكرا
وسياسيا ، يظهر ذلك فى كتبه الكثيرة التى يناقش فيها
آراء الآخرين وحينما يقتنع برأى لكتب من ذوى الاستقلال
فى الرأى يقف وقفة طويلة للدفاع عنه لانه يحترم الرأى
كما قلنا حينما يصدر عن استقلال
كان علل يرحمه الله مدرسة فى التفكير واستقلال
الرأى عنده مظهر كبير من مظاهر منهجية فى التفكير والعمل
والتنفيذ

كرامة المواطن كرامة الوطن

زعامة علال تظهر في كثير من دواهبه ونضاله وأعماله وتفكيره وكتابته ، ولكنها تظهر أكثر ما تظهر في التصاته بالشعب ووجه لابناء قومه ورعايته لكل فرد منهم فلاح او عامل او صانع او طالب او تاجر او عاطل وقد كون علال من خلال تجاربه النضالية التي استمرت خمسين عاما ، فلسفة تبلورت في كل أعماله ولكنها تعود جميعها الى كرامة الانسان ، فمن أجل كرامة الانسان كان علال وطنيا ومن أجل هذه الكرامة ناضل حتى النفس الاخير ، ومن أجل هذه الكرامة تعمق في دراسة كل علم يستطيع ان يحقق من خلاله كرامة الانسان

الوطنية لم تكن هدفا عذو ولكنها كنت وسيلة والاستقلال لم يكن هدفا ولكنه كان وسيلة والبناء الاقتصادي والاجتماعي لم يكن هدفا ، ولكن

كان وسيلة

الهدف الحقيقي هو كرامة الانسان

وحيثما يناضل من اجل تحرير الارض من المعمرين انما

يقصد بذلك ان يحرر انسان الارض من العبودية للمعمر
الاجنبى وحيثما يناضل من اجل الارض لمن يحرثها انما
يناضل من اجل تحرير انسان الارض من سيطرة الاقطاعى
الذى يستعبد كرامة الانسان ، وحيثما يناضل من اجل
تكوين النقبة — وقد اقترب نضاله النقابى بالصيحات
الوطنية الاولى — انما كان يناضل من اجل تحرير كرامة
المواطن المغربى من ان تدوسها الرأسمالية المتحكمة فى
المعامل والمصانع وحيثما كان يناضل ضد طغيان الولاة
من مقيمين عامين ومراقبين مدنيين وبشوات وقواد ، انما
كان يناضل من اجل كرامة الانسان الذى كان يحكمه
هؤلاء وحيثما كان يناضل ضد الضرب فى حملته المشهورة
سنة 1959 ، انما كان يناضل من اجل كرامة الانسان
الذى كن يصفع لان صاحب السلطة كان يحتقر الانسان
فيصفعه وحيثما كان يناضل من اجل القانون والعدالة
انما كان يناضل من اجل كرامة الانسان التى كانت تهان
بالظلم وتهان بتجاوز الحق فى استعمال السلطة وحيثما
كان يناضل من اجل الحرية بالممارسة والكتابة والتفكير
كان يريد ان يحقق للانسان المغربى اقدس شىء يميزه عن
الحيوان وهى حركيته التى تمثل كرامته وحيثما كان

يناضل من أجل الانسية المغربية العربية الاسلامية انما
كان يناضل من أجل ان يحذر كرامة الانسان من التبعية
والتبعية نوع من العبودية او هي العبودية في احدى صورها
وحيثما كان يناضل من أجل حقوق المرأة وفي بداية الثلاثينات
قال شعرا يطالب فيه لمرأة بحقوقها الكاملة ، **كان يناضل**
من أجل كرامة نصف الشعب من ان يدوسها النصف
الآخر

من هذه التجارب النضالية استقى علل فلسفته في
مسيرته الفكرية والعلمية فقد كان لا يفكر في الاقتصاد
— وقد كتب عنه الكثير وابتكر فلسفة اقتصادية مميزة —
لا يفكر في الاقتصاد من أجل خلق مذهب اقتصادي أو
فلسفة اقتصادية ولكن من أجل أن يحقق للانسان كرامته
التي تضيع بين الفقر والراسمالية والاحتكار والاستغلال
وعبادة المال ولم يكن يفكر في التعليم من أجل انماء التفكير
البداعي أو تنظيم المدرسة أو الجامعة ، ولكن من أجل
أن يرفع كرامة الانسان بالعلم ، ولم يكن يفكر في السياسة
أو النقابة من أجل أن يكون سياسيا أو نقابيا محترفا
أو أن يكون سياسيين ونقابيين محترفين ، ولكن من أجل
أن يستعيد للانسان كرامته التي لا يحققها الا بالنضال
السياسي والنقابي ، ولم يكن يقول الشعر — مثلا — من
أجل الهدف البلاغي أو الفني ولكن من أجل أن يرفع كرامة
الانسان في أولاد خليفة — مثلا — أو يثور في وجه العهارة

الفكرية ، او يثير انسانية الانسان من اجل العدوان على
كرامة الانسان في فلسطين
من هنا يتبين ان علال الفاسي لم يبين زعامته على
نضال من اجل النضال او على الاحتراف السياسي
ولكن على الالتصاق بالمواطن والتفكير فيه والنضال معه
وبه من اجل كرامته
وليس من السهل ان يحقق انسان زعامة من نوع
الزعامة التي حققها علال اذا لم يلتصق بمواطنيه مفكرا
ومناضلا ومعايشا وخذوما
ابحثوا في مسيرة علال طوال خمسين عاما فستجدون
ان حداثه كان كرامة الانسان

الديمقراطية السياسية وسيلة

الفترة التي ابتداء فيها علل حياته السياسية لم يكن المغرب فيها منظما سياسيا بحيث ينمو فيه الوعي بالديمقراطية ولكن انق علال كان اوسع من ان يقف عند حدود المغرب . وكما كان يعيش مع المشرق العربي في نضاله الوطني للتحرر من نير الاستعمار كان يعيش معه في نضاله لتنظيم الحكم تنظيما ديمقراطيا وكما كان يعرف الكثير عن عرقلة الاستعمار للحركة الوطنية في مصر وسوريا والعراق مثلا حتى لا تحقق الهدف الاساس وهو الاستقلال . كان يعرف الكثير عن عرقلة الاستعمار لهذه الحركة حتى لا تساهم في بناء الحكم على اسس ديمقراطية . ولذلك كان يعيش بفكره مع المشرق العربي في حركته الاستقلالية وحركته الدستورية على السواء وكان الى جانب ذلك يعيش مع الفكر العربي في التطور

الديمقراطى وكن لهذا التطور — وخاصة فى فرنسا — أثره فى الحكم الاستعمارى بالمغرب الحكم الاستعمارى يشتد وبعنف كلما كان ايمينيون المتطرفون والاستعماريون وأصحاب المصالح فى الحكم . ويلين الحكم ولو ظاهريا ولفترة محدودة حينئذ يكون اليساريون وبعض الذين يرفعون شعارات التحرر فى الحكم

وقبل هذا وذاك كان بنفاز بصيرته فى دراسة تاريخ الاسلام وتاريخ المغرب ينفذ الى حقيقة الاتجاه الاسلامى فى الحكم كما أسس فى عهد النبى وخلفائه على مبدأ الشورى ، ويعرف ان المسلمين والعرب قد سقطوا فى الدكتاتورية الدامية منذ ابتعدوا عن هذا المبدأ الديمقراطى

وهذا المثل الاسلامى هو الذى حبيب اليه الديمقراطية فى الحكم على نمط الشورى الاسلامية التى تضمن تعبير الكل عن رأيه ومساهمة الجميع فى تسيير الشؤون العامة فى مختلف الدرجات الى ان تصل الى الحكم

من هذه المصادر جميعها ، ومن ايمانه بالمواطن ، ومن ايمانه بحقوق الفرد التى تؤكد حقوق المجموع ، ومن ايمانه بالحرية أصبح مؤمنا ديمقراطية فى تسيير الحزب ، ولذلك كان حريصا على تنظيمات الحزب وعلى السلم المتحرك فى الحزب الذى يبدأ بالحلية وينتهى بالمؤتمر العام

الديمقراطية فى الحكم هى التى ينظمها أبناء الوطن بأنفسهم ، ولذلك كن يعتبر أكبر خطر على المفهوم الحقيقى

لديمقراطية هي التنظيمات التي يصنعها الاجانب للبلاد
بدعوى مساعدتهم على تنظيم الحكم فيخلقون المجالس
المصطنعة والزعامات القبلية والطائفية والمطحية، وبذلك
ينسفون ديمقراطية الحكم من حيث يزعمون انهم يساعدون
على تنظيمه

ومنذ استقل المغرب وهو يدعو الى التنظيم الديمقراطي
فيما يكتب ويخطب ويقدم من مذكرات وكان يرى ان
الديمقراطية يجب ان تنبع من القاعدة ، وان تكون على
اسس دستورية يهتم فيها بتنظيم الحكم ومشاركة الشعب
ومراقبته ، ولكن الذي يهتم اكثر هو ضمان الحقوق الانسانية
والحريات العامة لكل مواطن

وقد شارك في كل المحاولات لدمقرطة المغرب ، فكان
عضوا رئيسيا في مجلس الدستور لوضع دستور للمغرب
في اوائل الستينات وانتخب رئيسا له ، ولكن المجلس نوم
فانستغنى عما كان يراد منه من وضع الدستور وقدم
مشروع القانون الاساسي الذي كان يعتبره خطوة في
طريق الديمقراطية وحيدر هذا القانون بالفعل وشارك
في وضع الاسس الاولى لدستور سنة 1962 ودعا الى
التصويت عليه لانه كان يعتبره الخطوة الاولى في التنظيم
الديمقراطي ، والعبرة بالمجالس التي ستطبقه

وشترك في انتخابات 1963 وكان قطب الريحى في
مجالس النواب الذي اُنتق عن هذه الانتخابات ، فقدم ضمن

الفريق الاستقلالى لاتحادلية والمشروعية كثيرا من مشاريع القوانين أبرزها تعريب القضاء ومغربته الذى أقره المجلس ونفذ ، والاصلاح الزراعى وقدم توجيهات مهمة عند دراسة التخطيط ودراسة الميزانيتين اللتين صدرتا عن المجلس

وتزعم معارضة الدستور الثانى والانتخابات التى جرت بعد ذلك ايمانا منه بأن الديمقراطية اما أن تكون سليمة أو لا تكون

سجل النضال فى سبيل الديمقراطية حافل بما قدمه فيه علال الفاسى من جهود فكرية وعملية . فقد كتب الكثير وحاضر وخطب فى المهرجانات وخاض المعركة كمناضل عادى فى حزب فعال

واكنه لم يكن يعتبر الديمقراطية هدفا ، وانما كان يعتبرها وسيلة للعمل فى سبيل بناء البلاد . فهو يعتبر أن مجلس الامة المنتخب انتخابا حرا نزيها يمكنه ان يعايش الشعب ويصدر من المشاريع ما يمكن به بناء البلاد وتخطى العقبات التى تقف فى طريقها

ووجه من الصحراء أو من أعالي الجبل أو من المناطق « غير النافعة » فى مجلس للامة يمكن ان يوحى عنده بالكثير مما يعمل لصالح هذه المناطق

ومن أجل ذلك لم تكن الديمقراطية صورة « حكم ولكنها حقيقة حكم ثم هى وسيلة للنقاش والبحث عن

الاصح ، وبما انه كان يؤمن بالحرية فان النقاش البناء
ثمرة لهذه الحرية ومجاله مجلس الامة
اليمقراطية وسينة للبناء ، ولكن البناء هو
الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية

التعادلية

رحم الله الرئيس علال غقد كان يفرق دائما بين الوسيلة والغاية كانت الغاية هي الهدف ويستطيع ان يصل اليها من اقرب طريق ولذلك كانت الديمقراطية السياسية لا تعنى عتدد هدفا مفردا مركزا ، بمقدار ما يعنى الهدف الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية هذا منطق تفكيره قبل ان يكتب النقد الذاتى « وهذا هو الاتجاه الذى اتجهه وهو يدرس المشاكل السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية التى كتب عنها النقد الذاتى »

دون أن نتتبع تفكير زعيم التحرير فى مختلف المراحل التى ناضل فيها من اجل الديمقراطية ننتقل سريعا الى مرحلة الدستور الاول لنقول انه ليس من الصدفة فى شىء ان يتم الاستفتاء على الدستور الذى ناضل الرئيس علال فى انجازه فى 7 ديسمبر 1962 ولم يكد يمر شهر حتى قدم حزب الاستقلال الى جلالة الملك وثيقة التعادلية الاقتصادية

والاجتماعية في 11 يناير 1963

هذا المتتابع في تاريخي الحديثين المهمين يعنى أن الديمقراطية السياسية التي ساهم الحزب في صنعها وناضل لانجاح الدستور الذي يؤطرها لن تكون كاملة الا بالديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية التي اطرها الرئيس علال في كلمة التعادلية الوسيلة اذن هي الدستور الذي ينظم المؤسسة الوطنية « البرلمان والغاية هي التعادلية ماذا تعنى التعادلية ؟

لقد اغنى زعيم التحرير رحمه الله الفكر التعادلي بما كتب وخطب ولا يمكن ان نفهم التعادلية الا بالرجوع الى كل ما كتب في الموضوع ، ولكي نلخص الفكرة فيها يمكن ان نقول ان التعادلية تعنى تمكين المواطنين جميع من الفرص المتكافئة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي حتي نخلق مجتمعا متعادلا لا تطفئ فيه طبقة على طبقة ولا يحرم فيه فرد من حقوقه الكاملة في الحياة الكريمة وهذا يعنى ان وسائل الحياة يجب ان تكون في يد المواطنين بالتساوي المتعادل

التعادلية لا تلغى الملكية للمال والعقار ووسائل العمل لان الملكية حق طبيعي ، وبذلك تختلف عن الشيوعية ولا تلغى العمل الفردي لكسب ولكنها لكي تحقق تعادلا في المجتمع تمنع احتكار المال او استغلاله عن طريق الربا والمضاربات غير المشروعة وتمنع كسب الارض واحتكارها

الا على الذين يزرعونها ويستغلونها لصالح الشعب وتمنع احتكار المعامل ، بل تفرض مشاركة العمال واعتبار العمل جزء من رأس المال وتمنع اتاحة الفرص لفئة معينة لانها تملك المال او السلطة ، في الوقت الذي تحرم من هذه الفرص طبقة اخرى

واذن فهي توجب توزيع الثروة وتوزيع مردود النشاط الاقتصادى على المواطنين ولا تضع هذه الثروة ومردود النشاط في يد الدولة ليصبح المواطنون الذين هم الملاك الاصليون لثروه البلاد ونشاطها مجرد عاملين او موظفين ينتجون ليأكلوا فقط ان وجدوا ما يأكلون

وعلى ذلك فأهداف التعادلية الاساس هي التحرر الاقتصادى حتى لا يبتلى الاقتصاد فى يد الاجانب او خلفاء الاجانب ثم العمل لخروج بالبلاد من التخلف ، وتعبئة المواطنين لمشاركة فى هذا العمل الذى هو مهم ويعود نفعه عليهم ثم تحقيق العدالة الاجتماعية فى العمل والكسب والتعليم والسكنى والصحة

وعمل كهذا يتطلب جهودا من الدولة وجهودا من المواطنين جهود الدولة تتلخص فى السيطرة على الموارد الاساسية للبلاد كالمعادن والبنوك والشركات الكبرى التى تستثمر المصالح العمومية ثم القيام بدورها التنظيمى فى توزيع موارد الثروة الضرورية كالارض والقطاعات المفيدة والتجاره الخارجيه والصناعات الاساس التى تمكن من

الاستغناء الذاتى

اما جهود المواطنين فتتلخص فى العمل الفردى الذى يساهم به المواطن والتعاونيات والشركات الشعبية (غير الاحتكارية) فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية

التعادلية اذن قائمة على اساس احترام كرامة الفرد وجهوده وعمله ، واعتبار ان النفع الاساس يجب ان يعود على الفرد وعلى المجتمع من خلال الفرد وقائمة على اساس الاستقلال الاقتصادى بحيث تمنع التدخل الاجنبى فى العمل الاقتصادى والاجتماعى وقائمة على اساس اعتبار راس المال وسيلة وليست غاية تستعبد الفرد والمجتمع على السواء

وهى تستهدف تجنيد الشعب كل الشعب لصالح المجموع ، وبذلك تتجنب صراع الطبقات الذى يقيم المجتمع على اساس الاحقاد والحرب النفسية التى تفضى لا محالة الى حرب عمالية ان نم تقم بها طبقة ضد طبقة ، فالدولة تقوم بها ضد طبقات المجتمع التى تخلقها باعتبارها وكيلة على طبقة معينة وهى بالطبع تحترم الدين وتعتز به وتأخذ منه الاسس الضرورية لتنظيم المجتمع المتعادل وهى تؤمن بالعمل الجماعى فى اطار وحدة مجموعة من الاقطار المشابهة المتعادلة كالمغرب العربى الذى اشترطته وثيقة التعادلية حتى لا تكون هناك عوامل خارجية تهدم المجتمع المتعادلى .

في هذا الاطار كان يفكر زعيم التحرير علال وف.
هذا الاطار قدم اراءه التي ابتدأها بالنقد الذاتي وحللها في
تقريره لمؤتمرات الحزب
يرحمه الله فقد كان اكبر من واضع مذهب . كان
الى جانب ذلك يناضل لتطبيق المذهب

الإقتصاد

في خدمة الفرد والمجتمع

شمولية التفكير عند علال تجعل من واجبه أن يفكر في كل ما يطور المجتمع وينقذه من وهددة التخلف التي أودته فيها عصور التخلف وعصور الاستعمار وهو كمفكر يعتبر الإقتصاد أساس الاسس في تطور المجتمعات نحو الرقى أو رجوعها الى الوراء وليس غريب على علال أن يعتبر الإقتصاد أساس العمران فالفكرة ليست ماركسية بقدر ما هي بنت التطور الحضارى والفكرى ولهذا كان تفكيره في الإقتصاد وفي اصلاح الوضع الإقتصادى في المغرب — كمثال للمجتمعات المتخلفة — ينبثق عن تحرره من التعبد لنظرية معينة اتى بها الاولون اتى بها المتأخرون الماركسيون والاشتراكيون الذين أصبح تفكيرهم متأخرا عن تطور العصر فهو يؤمن في مقدمة ما يؤمن به أن الانظمة لا يمكن

ان تكون دائمة جامدة وانها خاضعة للتطور خضوع المجتمع
الذى تطبق عليه

لهذا لم يكن تفكيره فى اصلاح الاقتصادى منبثقاً
عن الاسلام فحسب ، ولا من نظريات الفقهاء والمفكرين
الاسلاميين فحسب وانما كان تفكيراً نابعاً عن دراسة
شاملة لكل النظريات الاقتصادية الاسلامية والنظريات
الشاذة التى قال بها بعض المفكرين المسلمين فى التاريخ
المتوسط ، ونظريات الاقتصاديين الاوروبيين به فيهم
الشيوعيين والاشتراكيين وحاول من كل ذلك ان يضع
تخطيطاً لاقتصاد هادف لا يحل مشكلة بوضع المجتمع فى
مشكلة اعمق ، ولا يحل مثلاً مشكلة المجتمع بوضع الفرد
عبداً للمجتمع حتى عن طريق التحرر الاقتصادى

علال يعترف لكل الافكار والتخطيطات الاقتصادية
قديمها وحديثها بلمازايا التى خاقتها انه مفكر مسلم ولكنه
لا يفكر تحت اية عقدة فكرية ، بل هو متحرر من جميع
العقد التى تصاحب بعض المتعاطين للتفكير الذين لا يثقون
بشخصيتهم لهذا نجده يؤكد ان الماركسية — مثلاً —
استهدفت تطبيق العدالة الاجتماعية وانصاف المظلومين
ويؤكد على الافكار التى ابتكرتها والتى سبقت بها
ويستخرج من كتاب الاخلاق لابن مسكويه مثلاً هذه العبارة
من العدل ان نعين الناس بانفسنا كما اعانونا بانفسهم
ونبذل لهم عوض ما بذلوه لنا «

ويتجه :تفكير'الاقتصادى لعلال الفاسى — ومصادره
كما عرفنا اسلامية — الى ان الراسمالية الضخمة أصبحت
خطرا اقتصاديا واخلاقيا ، وانها قضت على كل الانظمة
والدينات والمبادئ السامية ، وانها ليست الا احتكرا
مشؤوما للثروة ويخاص لهذه النظرية — التى لم يكن فيها
مرددا ولا مقلدا — بى نظرية اسلامية مهمة وهى ان المال
فتنة ليس معنى ذلك اننا يجب ان نتخلى عنه ، ولكن
يجب ان نوجهه الوجهة النافعة ، فقد يستخدم لخدمة
الانسان والمجتمع ، وقد يستخدم لاذاية المخلق والاضرار
بهم

والمال فى نظره ليس مال الفرد برغم المجهود الذى
يبدله الفرد فى اكتسابه ولكنه مال الامة ولذلك فكل
تصرف فيه لغير المصلحة هو اضرار بالامة وليس اضرارا
بمالك المل فحسب ويستدل على ذلك بالنظريات
الاسلامية التى تحرم استعمال المال فى غير المصلحة

وعلال لا يلغى الفرد من حسابه كما لا يلغى المجتمع
اذا كان المال مال الامة فان كسب الفرد ضرورة لتكوين
هذا المال والملكية الفردية حق للفرد وضرورة اجتماعية
ولذلك لا مجال لتحريم الملكية الفردية حتى تبقى للفرد
شخصيته ومسؤوليته فى المجتمع

غير ان ملكية الفرد يحددها كثير من انقيود التى منها
تحريم الربا التى تجعل من المال غاية فى حين انه وسيلة

لأسعاد الإنسان وإسعاد المجتمع ومن هذه القيود
تحرير الاحتكار حتى لا يبقى المال دولة بين الأغنياء فما
فضل عن الحاجة الضرورية للإنسان يجب أن يوظف في
التنمية الاقتصادية ولمحاربة الاحتكار وجبت الزكاة حتى
تغطي التنمية الاقتصادية عن طريق المال ، وحتى لا يبقى
أى قدر من المال دون استعمال ، وحتى يضمن لو طبقت
الزكاة — وهى حق وليست صدقة — الأقل الحيوى لكل
المواطنين الذين لا يستطيعون العمل والاستفادة من
توظيف المال فى التنمية الاقتصادية .

أن الهدف من كل نظام اقتصادى عند علال هو تحرير
الإنسان من الاستعباد الاقتصادى سواء للمال أو للدولة
أو للأغنياء حتى ينتفى البؤس الفردى ، ومن ثم ينتفى
بؤس المجتمع وبذلك يكون الاقتصاد فى خدمة المجتمع
ابتداء من الخلية الأولى وهى الفرد وانتهاء بالامة
كلها

بهذه العقلية المفتحة كان الرجل الذى يستقى ثقافته
من الاسلام المتحرر من جميع العقود ، الدارس لكل
النظريات القديمة والحديثة يرى استفلال الاقتصاد لخير
الإنسان وتنظيم هذا الاقتصاد على أسس اسلامية مع
اعتبار النظرية الرئيسية عنده ، وهى أن الانظمة لا يمكن
أن تكون دائمة وجامدة عند المقولات التى مرت عليها
قرون أو حتى عشرات السنين ، بل انها خاضعة للتطور
خضوع المجتمع الذى تطبق عليه

الحرية مسؤولية

للحرية جهادنا حتى نراها

يردد المواطنون هذه الفقرة من نشيد الحزب وقد
رددوها علال في ضميره وقلبه وفكره قبل ان يضمنها هذا
النشيد ورددوها عمليا وهو يجاهد في سبيلها وقد كان
قلبه الكبير يطمح في أن يجاهد حتى يرى الحرية ، ولم
تكن ابعاد الحرية عنده تسمح بأن يراها الا كاملة غير
منقوصة فأغمض عينيه وما يزال في قلبه شيء من
الحرية وشيء من الجهاد من أجل الحرية

وقد اقترن تفكير علال وعمله وحياته بالحرية
فاتخذها نبراسا له يهديه السبيل الوعر الذي يسلكه
ويحدد الهدف الذي يسعى اليه

كان يراها انسانية الانسان ، فلم يكن يفهم الانسان
الا وهو ينعم بالحرية ويتحرك في اطارها

وكان يراها مسؤولية الحرية ليست قيمة مجردة
ولا هي تحلل من القيود من أجل الا تكون قيود ، ولكنها
مسؤولية الانسان في التفكير والعمل من أجل الخير ،

من أجل الصالح العام من أجل الآخرين وهي مسؤولية وليست ملكا بحيث لا يمكن للإنسان أن يبيعها أو يفرط فيها أو يهدر دمها لأنها ملك له ، ولكنه يجب أن يكون قيما عليها لأنها ملك للجميع كما لو كان قيما على أموال الآخرين ينعم بحقه الشرعى ولا يتجاوزها الى حق الآخرين

وكان يراها لجميع البشر ولجميع المواطنين فلا حق لحد في أن يوزعها كما يشاء ومتى ما أراد ، ولكن الحق فيها للجميع ، وهم الذين يملكون هذا الحق ، ولا حق لهم في التفريط فيه

وكان يراها في الفكر فكل أن يفكر كما يتمكن فكره من أن يفكر ، ولا حق لحد في أن يمنع عنه تفكيره إلا أن يكون تفكيره لغير صالح الجماعة فيمكن أن يناقش ويهدى عن طريق الفكر والتوجيه

وكان يراها في التعبير فالقول هو الوسيلة الاولى للتعبير عما نفكر فيه وهو الذى نبرز فيه المسؤولية التى يتحملها الانسان وهو يتحرر ولذلك كن ضد على كل القيود التى تتخذ ضد حرية الفكر والتعبير عن طريق الدكتاتورية أو طريق القوانين المقيدة ولذلك أيضا كانت معاركة الاولى لصالح حرية الصحافة والتعبير وما زال يخوض هذه المعارك كلما مست حرية القول بالقانون المحدد أو بالرقابة المفروضة أو بالمصادرة والمنع

وكان يراها في الانتماء والاجتماع والتجمع ولذلك
كان يطالب للمواطنين بحرية الاحزاب والنقابات
والجمعيات ولا شيء يحد من هذه الحرية ولذلك لم
يكن ضد منع الاحزاب والجمعيات والنقابات فحسب
بل كان ضد الحزب الواحد ولو كان هذا الحزب على
حق لان ذلك يمنع المواطنين الذين لا يتفقون مع هذا
الحزب في ان يتمتعوا بمسؤوليتهم الانسانية والوطنية
وكان يراها في المناقشة والاقناع ولذلك كان
ديمقراطيا بطبعه يدافع عن رايه ويبدل جهده للاقنع
ومع ذلك يخضع للجماعة واكثر ما كان يتجلى هذا الخلق
وهو يسير الحزب يناقش ويقنع ، ولكنه يخضع لراى
الجماعة معنا انه ممثل للاغلبية

بكل هذه المعانى وبغيرها كثير مارس الحرية ففكر
وتجول وخطب وكتب وناقش واقتراح ودافع ولم يكن
شيء يصدده عن هذه الممارسة حتى السجن والنفي
والتشرد والابعاد كان يقبلها جميعها عن طواعية واختيار
لانه اختار الحرية ، ولم يكن يسعه ان يتنازل عنها
وحتى في سجنه ونفيه كان يمارس حريته كلما وجد
سبيلا لذلك ونحن نعرف انه مارس الحرية في المطالبة
باستقلال بلاده وهو داخل القيد في منفاه السحيق
بالكابون ولم يكن ليفضل حريته الشخصية على حرية
بلاده ومواطنيه وقد ساومه الاستعماريون في ذلك

عدة مرات

وكان لا يتردد في هذه الممارسة ولو كان في وسط لا يقبل هذه الممارسة افكاره في السياسة والاقتصاد والمجتمع ، بل افكاره في الدين والعقيدة كانت تصدم بعض الجماعات والهيئات والحكومات والانظمة ولكنه لم يكن يتردد في أن يعبر عن هذه الافكار ويجاهد في سبيلها ، ولو اعتبر مارق أو متمردا أو جامدا أو شاذا

الحرية كانت هي الرابط الذى يربطه بالمواطنين وعن طريق الدفاع عنها وعن تمتع المواطنين بكل أبعادها دخل قلب كل مغربي من أنصاره وخصومه على السواء وقد كتب عن الحرية الكثير في كل كتاب من كتبه فصل عن الحرية وفي كل قصيدة من قصائده مناجاة للحرية وفي كل نشيد ردهه الشباب وحفظه الاطفال كان يغرس حب الحرية في قلوب قرائه ومنشدي شعره وأنشأه

أخذ يكتب عن الحرية كتابا فيما نشر فصولا منه في الملحق الثقافي للعلم ولو جرد كل ما كتب عن حرية الانسان وحرية الفكر وحرية التعبير لكان كفيلا بوضع علال في مقام الرائد الاول للحرية المجاهد في سبيلها

الشعب

يمكن ان نقول ان كلمة شعب من الكلمات الجديدة التي ادخلتها الوطنية المغربية في القاموس المغربي وليس ذلك يعنى ادخال مفرد قاموسى ، فذلك غير صحيح تاريخيا ، ولا يقدم ولا يؤخر في مجال العمل الذي قامت به الحركة الوطنية ، ولكنه يعنى ان مفهوم الشعب أصبح لأول مرة يتميز شيئا فشيئا في العقلية المغربية سواء بالنسبة للمواطنين أو بالنسبة للحاكمين الاستعماريين والوطنيين على السواء

فالكلمة بالعربية والفرنسية أصبحت تستعمل كثيرا مع بداية الحركة الوطنية ، فوجدت مطالب الشعب المغربي وجريدتها عمل الشعب والعمل الشعبى بالفرنسية ويمكن ان يعود الفضل الكبير للراحل العزيز علال الفاسى في احياء هذه الكلمة في القصائد الوطنية

والاناشيد التي انشدها ورثتها جماهير الاطفال والشباب
في بداية الحركة الوطنية

المهم هو المفاهيم التي اعطاها علال لكلمة الشعب
فاصبحت مدلولاتها تتضح لا في عقل المواطنين فحسب
ولكن في ضميرهم كذلك

لقد حلت كلمة شعباً محل عديد من الكلمات تخلفت
من عهد التخلف وركزها الاستعمار ليمزق وحدة البلاد
كانت كلمات القبيلة ، المدينة ، ومع القبيلة كانت الناحية
او الاقليم يحمل اسم مثلاً سوس او الشياظمة او زمور
او ارحامنة ، او دكالة ، او الزيف ، او الصحراء الخ . ومع
المدينة كانت مثلاً فاس والفاسيين ومكناس والمكناسيين
والرباط والرباطيين وسلا والسلاويين ، وقس على ذلك
من الكلمات التي كانت تستهدف التفرقة القبلية والعنصرية
حتى ان من يستمع الى المتحدثين او يقرأ كتب المؤرخين
حتى الحقب القارية منهم غفر الله لهم — يعتقد ان المغرب
مجموعة من القبائل والاجناس والعناصر اكثر ما يميزها
التناحر والتطاحن ولست في حاجة الى ان اعيد ما يرويه
الرواة عن هذا الصراع الواقعي احياناً ، الوهمي في كثير
من الاحيان ، يريدون منه ان يؤكدوا ان المغرب يمكن ان
يكون كل شيء الا ان يكون شعباً تجمعته كل مقومات
الشعوب

مكنته فكرة علال هي ان يعيد الاعتبار لشعب المغرب

حتى لا تظل القبلية والمدنية والاقليمية تطحن كيثمه وتمزق وحدته وتتيح للاستعمار ان يتغلب على كل مقومات البلاد بعدد ان تغلب عسكريا على كثير من الاقاليم حتى بالاستعانة بالعنصرية والقبلية والاقليمية

مناهضة الظهير البربري كانت قائمة على هذه الفكرة. واذنك كانت المنطلق الامتاس للحركة الوطنية ، ليس من الناحية التاريخية فحسب ولكن من الناحية الفكرية التي كانت تعنى نحن شعب واحد من مازغ ويعرب فلا مجال لخلق الفوارق بين البربر والعرب في التشريع والادارة والدين والمنطق الحضارى

ونضال علال من اجل الصحراء وسبته ومليبية لم يكن الهدف منها ارضيا فحسب فان كثيرا من البلاد تفقد جزء من اراضيها بسبب الحروب او النزاعات بين الجيران ولكن كان الهدف شعبيا كذلك شعبنا في الصحراء يجب ان يعود الى جزئه في الجبال والقرى والمدن حتى يتكون المعنى الحقيقي لشعب المغرب فلا يظل مجموعة قبائل واقاليم

وكانت رحلاته مختلف الاقاليم تستهدف هذا الهدف الاكبر فهو يرحل ليحاضر ويدرس في المسجـد ويلقى الخطاب في التجمع ويجتمع مع كل فئات الشعب من الفلاحين والعمال والتجار والطلبة والمعلمين والعاطلين كل منهم يريد منه ان يشعر بانه مواطن يحمل بـفـرة

لشعب فيه

ومن هنا كانت فكرته العظيمة التي تقول ان حزب
الاستقلال حزب موحد يريد منه الا يكون حزب طبقة
تنهس لتقاوم الطبقات الاخرى ولو باسم الدفاع عن
المصالح او باسم مقاومة المطامع كان يقول ان الحزب
كمحطة قطار تجتمع عندها جميع القطر مها يكن حملها،
ولكنها توزع القطر بحسب مصلحة الجميع وفي اطار
تنظيم المجتمع حتى لا تصطدم هذه القطارات ولن يكون
من وراء اصطدامها الا تمزيق الشعب ليس هدف الحزب،
كما كان يؤكد ان يمي الطبقة والصراع الطبقي ليقضى
على وحدة الشعب ولكن هدفه ان يقرر وينفذ المبادئ
والاهداف التي تقرب بين الطبقات وتجعل الجميع يعمل
في سبيل الهدف المشترك وسيكون هناك شواذ تختلف
مصلحتهم عن مصلحة الاخرين ولكن الشواذ لا يجب ان
يكونوا طبقة تدخل في «صراع» للمحافظة على مصالحهم،
وتشتغل بها الطبقات الاخرى ليصبح الصراع هدف ولن
يستفيد منه بعد ذلك الا تحطيم الوحدة وتمزيق المجتمع
الذي هو الشعب

ومن هنا ايضا كان يدعو الى وحدة اللغة لغة
تعليم والادارة والحياة العامة لا حرصا ولا غيرة على
اللغة العربية فحسب ولكن كذلك لتكون اللغة قيمة من
قيم الشعب تكون وحدته وتماسكه وتعطيه المعنى

الحقيقى للشعوب التى من مقوماتها التفاهم والتفاهم
لا يكون بغير لغة واحدة

ومن أجل ذلك أيضا كان يدعو الى تعميم التعليم
مثلا فالشعوب قد تتمزق وحدتها اذا كان بعضها محظوظا
يلقى العناية والرعاية من الحكومة فيتعلم ، وبعضها
يبقى على جهله يشقى — فى ظل الجهل — لاكل خبز
بعرق جبينه

ومن أجل ذلك أيضا كان يحارب سياسة المركزية التى
تجعل من البلاد مجموعة أقاليم بعضها نافع وبعضها
غير نافع فمن شأن ذلك أن يجعل من البلاد مجموعة
شعوب يستغل بعضها البعض وينفخ بعضها على البعض
ويحتقر بعضها البعض

خلاصة القول ان تفكير علال السياسى والاجتماعى
والاقتصادى اذا كان يستهدف مصلحة الانسان المغربى
فهو يعنى الشعب المغربى وأكثر ما كان يؤرقه أن يظن
هذا الشعب بدون ديان كما كان يريد ذلك المستعمرون
وأكثر ما كان خريصا عليه هو أن تجتمع كل المقومات لتعطى
لشعب المغرب كيانه الكامل

الأرض للفلاح

المال مال الأمة وثروة البلاد الاقتصادية هي ثروة الأمة هذا هو منطق علال الاقتصادي ولكنه يعتبر الانسان الفرد وكيل الأمة فيما يعمل وفيما يحتاج اليه واذلك فالارض المنتجة التي هي ملك للأمة بحيث لا يمكن التفريط فيها أو منحها لغير الأمة هي بالتالي للفرد الذي يعمل فيها ويحتاج الى انتاجها كجزء من احتياج الأمة الى هذا الانتاج وعلى ذلك فالارض الفلاحية كمصدر من مصادر الانتاج وكثروة للأمة يجب ان تكون لافراد الأمة التي يعملون فيها وينتجونها ومن هنا كان شعاره التقدمي الخالد **الارض لمن يحرثها .**

الفكرة تمثل فكرة اقتصادية ضد الرأسمالية الضخمة الخطيرة من جهة ، وضد التقليد الاقتصادي الذي سارت عليه البلاد المتخلفة ومنها المغرب التي تعتبر الأرض

ثروة تقتنى وتدخر لتزيد أصحاب الثروة مالا على مال
واحتكارا على احتكار ، ولتزيد الغنى غنى والفقير فقرا
التخلف ثم الاستعمار جعل الارض لمن يملك لا لمن
يعمل بل جعل من يعمل جزء من الارض التى يملكها
الاقطاعى اى يملك الارض ومن عليها . ولذلك كان الفلاح
عند المعمرين وعند ملاك الارض عاملا اجيرا يستغل
ويشقى ليزيد فى ثروة الاغنياء وليكون الفلاح خماسا او
رباعا او عاملا بالسهمه مع مالك لا يجوز له ان يملك ارض
الامة لانه لا يعمل فيها ولا يصح له ان يستثمرها لانه
لا يعمل فيها وقد لا يحتاج الى العمل فيها
ويخلص الى هذه النتيجة المهمة وهى ليس للاجانب
ولا لغيرهم حق التملك للارض فى المغرب ، لانه ليس
للمغاربة ولا للسلطان حق البيع لما هو ملك للطائفة
الاسلامية

ثم ان الارض كمالك اساس للامة يجب تحديد الملكية
فيها وذلك بتقسيم الملكيات الزراعية الكبيرة على الفلاحين
الفقراء وعمال الزراعة وتتولى الدولة او صندوق
التعاون الزراعى دفع الثمن للملاكين الكبار ثم استخلاصه
تدريجيا من المشترين الصغار

بهذه الطريقة يمكن القضاء على الاقطاع حتى لا تبقى
الارض وهى ثروة الامة وقفا على طائفة تزداد بها غنى
او تحتكرها دون ان تستفيد الامة من انتاجها .

الهدف من كل ذلك عذد علال هو تحرير الانسان الذى يكون الاغلبية الساحقة من الامة من الفقر والبؤس والحاجة ، وتحريره من سيطرة الملاك الكبار الذين يجعلون منه عبدا لا عبد الارض ، ولكن عبد الانسان الذى لا يتفوق عليه الا بالمال وقد اكتسبه بغير حق شرعى

هذه هى العدالة الاجتماعية التى يريد علال أن يوجدده فى مجتمع تضافرت عوامل داخلية وخارجية ، أجنبية ووطنية على استغلاله واستعباده وهو بالتالى يريد أن يجعل من الفلاح انسانا ذا كرامة ومن الكرامة أن يشعر بأنه يملك ما يبذل جهده لانقاذه وثمينة واستقلاله لصالحه وحالته

ومعنى ذلك أنه يسقط ملكية الدولة سواء فى شكلها القديم أو فى شكلها الجديد الذى تنادى به الشيوعية أو الاشتراكية المتطرفة التى تقيم الوزن للمجتمع دون أن تقيم أى حساب للفرد باعتباره مسمارا فى دولاب الدولة وهو لا يقبل الوصاية على الفلاح الا ان تكون مساعدة الدولة التى يخلقونها بأنفسهم ، والا ان تكون مساعدة الدولة التى هى جزء من واجباتها نحو الفرد والمجتمع

وعلى أساس هذه الافكار النظرية خاض مماركه التاريخية منذ بداية الحركة الوطنية حينما كان يكتب فى الاطلس ضد المعمرين وكبار الاقطاعيين ثم حينم قدم مع الفريق الاستقلالى فى مجلس النواب سنة 1963 و 1964

مشروع الاصلاح الزراعى ، ثم حينما نادى فى مؤتمر
الحزب الاخير واجتماعات مجلسه الوطنى بأن الارض لمن
يحرثها معارضا فى ذلك استمرار الارض عند المعمرين أو
سيطرة الدولة على الارض المسترجعة بل طالب بتوزيع
الارض سواء المسترجعة منها من المعمرين أو التى هى ملك
للدولة أو للأوقاف أو الجيش أو الجماعات على الفلاحين فى
اطار التعاونيات واستثمارها لمساعدة التعاونيات وبقروض
من الدولة ومساعدتها الفنية

الفكر الشمولى عند علل كان يتناول أول ما يتناول
الطبقة المحرومة وخاصة الفلاحين الذين لا مكنات لهم الا
الارض وهل يمكن اننكير فى هؤلاء الفلاحين الذين لا يمكن
تعبئة الشعب بدونهم الا على اساس تمكينهم من الوسيلة
الاولى للعمل والخروج من التخلف والفقر الا بتملكهم
للارض

كل اصلاح اجتماعى أو فكرى أو اقتصادى لا يمكن
ان يحدث فى نظر علل الا بتحرير الانسان من الفقر
والعبودية ولا يمكن تحرير الفلاح من الفقر والعبودية الا
بعودة الارض له لانه هو الذى يحرثها

التربية

لا المعلم المستلب

لعل من أبرز المواقف، التي تسجل في تاريخ علال الفاسي وتعطى الصورة الكاملة عن نضاله وجهاده قبله في سبيل تعليم المواطنين خاض منذ بداية النشأة معركة من أجل التعليم ولعلها البداية الطيبة التي رسمت له الطريق ليجعل من التعليم توجيها وتربية وتجنيدا للنضال الوطني

في المدرسة الناصرية — وكانت احدى مدرستين انشئت في فاس تحديا للتعليم الاجنبي في المغرب — عرف الشباب لأول مرة علال الفاسي في منتصف العشرينات كان يتردد بين القرويين والمدرسة ، يتعلم ويعلم الى جانب رفيقه في الجهاد المربي الكبير المرحوم محمد غزى وفي هذه المدرسة عرف، ان التعليم ليس تلقينا للعلوم والمعارف فحسب ولكنه نضال وحرب ضد الافكار الاستعمارية في التعليم ، وعرف ان المدرسة الحرة الوطنية تعنى عند الوطنيين والادارة الاستعمارية على السواء

المواجهة ضد الاستعمار في الجبهة التي تعتمد عليها وهي
الاستبداد بالشباب وتحويل وجهتهم فكريا وتربويا ولفويا
نحو فرنسا وكانت المدرسة الحرة الوطنية تعنى قطع
الطريق على الاستعمار بالاحتفاظ بالشباب في اطار التعليم
المعتمد على العربية والاسلام والاتجاه الوطني
من اجل ذلك اقفلت ادارة الحماية المدرسة الناصرية
وابعدت مديرها المرحوم محمد غازي عن فاس ، وقد كان
علال احد اعمدتها

واقفال مدرسة لم يكن يعنى فقط التخلص من
مجموعة من الاساتذة الشبان يربون مجموعة من الفتيان،
ولكن كان يعنى فتح جبهة للنضال ضد الاستعمار في
الميدان التربوي

هذه الجبهة خاضها علال في مقدمة مجموعة طلبة
القرويين الوطنيين حينما طالبوا باصلاح التعليم واصبح
يسمى (بالتنظيم) وقد كن علال بطل هذه المعركة حتى
نجحت بالشكل الذي صدر به القانون التنظيمي ، ولكنه
تبعها بعد ذلك ليجعل من طلبة القرويين — وكان من
حسن حظنا ان كنا من بينهم — مناضلين في سبيل تطوير
هذا الاصلاح وجعل التعليم تربية وتوجيها قبل ان يكون
تلقين معلومات سطحية كن يعرف أنها لا تجدى رجلا
المستقبل

من نافلة القول ان نشير — ونحن نقدم هذه

الصورة — الى الجهود التى بذلها على رأس حزب الاستقلال فى تكوين المدرسة الحرة التى تأخذ المبدأ من المدرسة الناصرية ولكنها تتطور بتطور الزمان لكى تكون البديل للمدرسة الفرنسية ولذلك كان من مهمات الحزب الاساسية تكوين المدرسة ، حيثما وجد فرع للحزب توجد مدرسة حرة يتبنها الحزب وينفق عليها وينتدب لها المعلمين ويرعى تلاميذها الى ان اصبح الكثير منهم طلبة ولعل الحزب يستطيع ان يفخر بأن معظم اطارات الدولة الان هم من خريجي هذه المدارس ، ولعله يستطيع ان يفخر بأن مكان يرعاه من مدارس يكاد يكون فى عدد المدارس التى تنفق عليها الميزانية العامة — باستثناء المدارس الخاصة بالفرنسيين طبعاً — ولعله يستطيع ان يفخر بأنه اول من كون بعثات طلابية الى الشرق العربى والى فرنسا ، وكان ينفق عليها مما اضطر ادارة الحماية الى ان تتخلى عن تعصبها فتسمح لبعض الطلبة بمزاولة دراستهم العالية وتدخل المنح الجامعية « ولو على قلة فى الميزانية العامة » هذا الجانب التربوى — وهو فصل من نضال طويل خاضه الحزب مع الحماية — دعمه علال بالدروس التى كان يلقيها بنفسه فى القرويين وكائنات مبعثا مهما للفكرة الوطنية . فقد خرج فيها بالتعليم من شكله التقليدى ليجعل منه تربية وتثقيفا لم يكن الطلاب وجمهور المستمعين يتجمعون حوله ليتعلموا التاريخ او تفسير القرآن فحسب ، ولكنهم كانوا

يجتمعون ليكونوا شخصيتهم الوطنية والانسانية ،ولياخذوا
الفكرة الحقيقية من دراسة التاريخ أو القرآن . ولانبالغ
اذا قلنا ان التربية التى كان يبثها فى دروسه اخرجت اجيالا
من المناظرين لم يكونوا يتكونون لو لم تكن دروس علال فى
القرويين

هذا النضال العلمى الذى زكاه بنضاله لتصحيح
اوضاع التعليم بعد الاستقلال كان يستهدف هو الآخر
التربية ، وهى تعنى التعليم وزيادة كان دائما يناضل
ضد النظام النابليونى فى التعليم والذى ما تزال فلسفة
التعليم الفرنسى والذين اخذوه عن الفرنسيين يسرون
على منواله ، وكان يناضل ضد التعليم الذى يعتمد على
حشو الادمغة بالمعلومات دون تكوين للعقل وتهذيب
للنفس والروح وكان يناضل ضد التعليم الذى يسلب
من المواطن روحه الوطنى وانتماءه لبلاده ولو اخرج
منه اكبر فيلسوف أو اكبر تقنى من هنا اعتمد الانسية
المغربية اساسا للتعليم وهى تعنى العود بالمواطن الى
انسانيته لا استلابه فى انسية الآخرين

التعليم يعنى عذده التربية عن طريق اللغة القومية
والتاريخ القومى والفكر القومى والفلسفة القومية ثم
التفتح على الآخرين والتعليم الذى لا يكون شخصية
متميزة ليس تعليما وطنيا ، ولكنه تعليم منحرف وكان
حتى آخر رمق من حياته يؤرقه الانحراف فى التعليم ويعتبر

هذا الإنخراط مسؤولاً عن كثير من الانحرافات في الحكم
والتسيير والاعتقاد والوجهة الوطنية والاستقامة الخلقية
كان يؤمن بالمدرسة المغربية أكثر مما يؤمن بالمدرسة
التي لا انتماء لها أو التي تنتمي إلى فلسفة استعمارية أو
أجنبية في توجيه التعليم والتي تخرج عقولاً منحرفة ولذلك
كان ينادي دائماً بإعادة النظر في سياسة التعليم ومفهومه،
والمغربية تعني اللغة والانسية والتكوين الوطني والتميز
الذاتي

هذه هي الأمنية التي ظلت تتردد في صدره الكبير حتى أسلم
الروح وما تزال دينا في عنق الذين يعملون على نصحيح
الأوضاع مهتدين برسالة علل الفاسي

ثقافة

وكما كان علل يعتبر التعليم تربية كان يعتبره ثقافة لم يكن التعليم عنده رفعا للامية ، وليس من واجب الدولة فقط أن تنفذ الاطفال من الامية ، ولكن من واجبها أن تفتح امامهم طريق الثقافة لهذا كان يعتبر المرحلة الثانوية مرحلة الزامية ومعنى ذلك أنه يرفض اللامساواة في الفرص الحق الذي تتيحه الدولة لطفل المدينة يجب أن تتيح نظيره لطفل في القرية وان بعدت به الدار ، والمستوى التعليمي الذي يتاح في مدينة كبيرة يجب أن يتاح لجميع الاطفال والفتيان في جميع أنحاء المغرب وهذا ما كان يسميه ديمقراطية التعليم

وكان يعتبر أن الجهود التي تبذل في التعليم الابتدائي ثم يترك الاطفال وشأنهم في جو بعيد عن التعليم والثقافة ، يبحثون عن الخبز والعمل إنما هي تضييع لجهود الدولة ومال الشعب لان المرحلة الابتدائية ، وخاصة في شكل ومضمون وأسلوب التعليم الحالي ، لا تضمن أي مستوى ولا تدفع بالاطفال في طريق متابعة المسيرة التعليمية ومن

هنا كان من رايه ان التعليم الثانوى يجب ان يكون
الزاميا

والتعليم عنده هو الذى يفتح عقلية التلميذ والطالب
على آفاق واسعة فينفذ به الى روح الحضارة وهو يدرس
التاريخ او الجغرافية مثلا ، والى روح الشريعة وهو
يدرس الفقه او القانون ، والى روح المصلحة الانسانية
وهو يدرس الاقتصاد والى سمو النفس الانسانية وهو
يدرس الادب... ولهذا فالتعليم وسيلة الى الثقافة، والذين
يتعلمون دون ان يتثقفوا لا يفيدون بلادهم وانفسهم الا في
المجال الضيق الذى ينتفعون منه او تنتفع الادارة منهم
في تسير شؤون الحياة اليومية

واكثر ما كان يعارض فكرة اعتبار التعليم استثمارا
واعبار المتعلم منتجا اقتصاديا كآلة سواء بسواء
الفكرة تنزل بالانسان الى درجة الالة ، وتلفى حظ الثقافة
من التعليم ، وتجعل من الدولة والجامعة والمدرسة معملا ،
ومن الشباب آلات قد تغنى عنهم الآلات الحاسبة أو
العقول الالكترونية وبذلك نعود القهقري في التعليم على
الاقل بدعوى مقاومة البطالة بين المتعلمين ، وقد تكثر
الآلات التى تغنى عن التفكير ، وبذلك تصبح الثقافة غير
ذات موضوع ، لانها غير مستثمرة ولا تفتح ما ينفق عليها
من مال

دفاعا عن الانسان كإنسان ودفاعا عن المعنى

الحقيقى للثقافة والاعليم كان يرفض اعتبار التعليم استثمارا اقتصاديا ويأبى أن يكون التخطيط الاقتصادى معتمدا على هذه المقولة ، والتخطيط للتعليم معتمدا على هذه الفكرة المخطئة التى تعنى فى مقدمة ما تعنى أنه اذا لم يكن استثمارا أو اذا لم يعد يؤدى الغاية الاستثمارية فيمكن الاستغناء عنه لنبحث عن ميدان آخر يضمن الاستثمار أكثر مما يضمنه التعليم

وكار يأسف أيضا لان التعليم فى الوطن العربى يعتمد الأنظمة الغربية وخاصة ما كان مطبقا منها فى المستعمرات ودور تعليم يحصر فكر المتعلم فى تلقن بعض المواد التى تعدد للحياة العملية كان العمل فى الماضى هو مساعدة الحاكمين على أن يتفاهموا مع المحكومين وقد يكون تطور غاصب مع مساعدة الدولة على التسيير ولكن هذا التعليم لا يكون مثقفين ولا يفتح امامهم باب الثقافة ولهذا كان يرى ان الاعليم يجب ان يعتمد على أسس جديدة تكون فى المتعلم روح الاطلاع والبحث

وتلك مهمة الجامعة التى لا تقوم بها مع الاسف

ولا يستثنى عن ذلك الفكر الإسلامى ودوره فى تكوين المثقف العربى المسلم الإسلام عنده ليس تراثا فكريا وحضاريا فحسب ، ولكنه عقيدة موجهة لا يمكن ان يعيش الانسان المفكر فى وسط شعب مسلم دون أن يكون على علم كامل بالفكر الإسلامى ، والا كان نشازا فى وسط

شعبه يعيش على مبعدة منه تفرق بينه وبين الشعب
تيم ومثل ولهذا يرجع احتقار كثير من المتعلمين لشعوبهم
واعتبارهم متخلفين (بقطع النظر عن مجال التخلف ،
الاقتصادي ذلك لان هؤلاء المتعلمين بعيدون عن الفكر
الاسلامى الذى ما تزال ظلاله تظل الشعوب الاسلامية واد
نها بعيدة عن حقيقة هذا الفكر

فمن شرط الثقافة اذن الالم بالفكر الاسلامى حتى
بقى المواطن المسلم فى اطار الفكر الذى يوجه حياته
وحياة مواطنيه ، وحتى لا يتعد المتعلمون عن شعوبهم
وهم يديرون شؤونها

واذا كان فكر علال مفتوحا على الحضارة الاجنبية
وعلى الثقافة الاجنبية فقد كان يعارض اشد المعارضة
ان يكون المتعلمون المغاربة وبالتالي العرب والمسلمون
نسخة من المتعلمين الاجانب يعرفون كل شىء عن تاريخ
وحضارة وانسان البلاد التى درسوا فيها ، ولا يعرفون
شئنا عن تاريخ وحضارة وانسان بلادهم هذا التعليم
فى الحقيقة هو الذى يكون الانفصام بين المتعلم وبلاده
يعيش اجنبيا فيها بضمير مضطرب ان استيقظ هذا الضمير
ويشتغل فيها وهو على استعداد لتركها اذا ما وجد فى
بلاد غيرها عملا يدر عليه اكثر مما يدر عليه العمل فى
بلاده ليس حب المال هو الذى يسبب هجرة الادمغة ،
ولكن الذى يسبب ذلك حتى فى البلاد المتحضرة هو

الانفصام بين المتعلم وبلاده

تلك نتيجة خطيرة للثقافة المنحرفة التي تستلب
المواطن فتعلمه كل شيء عن الآخرين ، ولا تربطه ببلاده
انسانها وأرضها وتاريخها وحضارتها الا كما يرتبط الغرب
بالارض الغربية يتعايش معها على مصلحة ، فاذا بدت
المصلحة في غيرها تركها الى غير رجعة

والثقافة عند علال تعتمد على الحرية في التفكير
والممارسة ، فلا ثقافة بدون حرية ، ولذلك كان يطالب
بأحرية للمثقفين ويناقش المثقفين بحرية ويسمع كلامهم
بكل حرية ، واكثر ما كان يغيظه ان تقاطع مثقفا يعبر عن
رايه ولو كان يختلف معه كل الاختلاف

يرحم الله علال فقد كان يفكر بالمثل وكان شخصه
مثالا للمثقف كما يريد ان يكون ، وكان فكره مثالا للثقافة
كما يريد لها وقد كان واسع المعرفة طموحا الى التعليم
مرتبطا بالفكر الاسلامي ملتصقا ببلاده ارضها وانسانها
وتاريخها وحضارتها متفتح الفكر على ثقافة الآخرين ،
ولكنه غير مستلب

وذلك مثال المثقف، كما نريد لبلادنا ان يكونه

الانسيّة العربيّة

نعل الغزو الفكرى من أخطر أنواع الغزو التى تعانىها
لشعوب المستضعفة ذلك لانه غزو يتستر تحت شعار
المعرفة والفكر فى الوقت الذى يسلب الانسان كل
مقوماته فى المعرفة والفكر ، فيخلق الانسان المستلب ،
وهو يوهم بأنه يخلق الانسان المثقف
ومن هنا كان الانسان الذى يكونه الاستعمار أخطر
على نفسه وبلاده — ربما — من الاستعمار نفسه ، ومن
هنا كان المنحرفون فكريا والمتعاونون ، والمعقدون
نفسها والمنفيون فى لغة الاخرين وفكرهم وكان ولاشك
الثائرون الذين ينبض ضميرهم بيقظة وذن بعد طول
معاناة

كان المغرب احد ضحايا الغزو الفكرى فكان من
المتعلمين من وقعوا ضحية هذا الغزو وكل الانواع
الذين ذكرنا ، وكان منهم الذين يعرفون عن بلاد المستعمر
كل شىء ارضها وتاريخها وانسانها ولغتها وحضارتها
وفلسفتها ودينها ، ويجهلون عن بلادهم كل شىء لان

التعليم لم يقدم لهم إلا ما يرفع بلاد المستعمر في نظرهم.
ويحط من مكانة بلادهم في نظرهم ، فكان التقديس للأولى
وكان الاحتقار للثانية

أرقت علال هذه الحقيقة — وهو المثقف الذي لم يقف
فكره عن أن يرتاد أى ميدان من ميادين المعرفة — واعتبر
النضال في سبيل تصحيح فكر الإنسان المغربى لا يقل عن
النضال في سبيل تصحيح وضع الوطن المغربى ، انه لا
يعتبر الوطن أرضا أو ترابا أو حدودا فقط ولكنه يعتبره
أرضا وإنسانا كذلك

وبدأ حملته في سبيل ما أسماه الانسية المغربية
قد تكون ترجمة دقيقة للكلمة الاجنبية التى تعنى كل
ما شحنها به علال من معانى وقد تكون ابتداعا أو
اشتقاقا من كلمة انسان ولكنى لا أجد كلمة أصدق منها
في التعبير عما كان يريد علال منها حينما يجعلها أحد
أسس نضاله

كان يريد أن بعيد للمواطن المغربى انسانيته الكاملة
بكل مقوماتها الكاملة فيخرجه من الاستلاب الفكرى
والعقيدى والانسانى ليعود به الى وطنه يكتشفه ان كان
يجهله ويقدره ان كان يحتقره ، ويحبه ان كان يكرهه
ويرتبط به ان كان يبتعد عنه ويناضل في سبيله ان كان
يقف منه على حياد

وهو لا يرى ذلك في التربية الوطنية والدينية والخلقية
النظرية فحسب ولكنه يراه في التعليم والثقيف ومن

ثم كان يطالب بأن تعود الانسية المغربية الى التعليم في المغرب فيتعلم التلميذ والطالب كل ما يحبره من الاستلاب ويعود به الى وطنه اللغة والدين والتاريخ والجغرافية والفلسفة والتربية الوطنية في مقدمة ما يجب أن يعرفه التلميذ والطالب ان كذ نريد أن نجعل منه مؤنسنا اى انسانا مغربيا

خاض علال معارك لاصلاح التعليم لانه كان يعرف ان التعليم في مقدمة ما انحرف في المغرب ، سواء عن طريق الجمود او عن طريق التغريب ، وان الشباب قد يعرفون الكثير ولكنهم يجهلون كل شىء عن بلادهم ، وانهم يصلحون ان يكونوا متعلمين فرنسيين مثلا ولكنهم — او اغلبهم على الاصح — لا يصلحون ان يكونوا حتى مستغربين يعرفون عن المغرب بعض ما يعرفه المغمون من الفرنسيين بالتاريخ المغربى او بالحضارة المغربية لذلك اخذ يركز نضاله في سبيل اصلاح التعليم على الاسس الاولى التى تكون شخصية الانسان المغربى

لم يكن يريد أن يكون شخصية الانسان المغربى لذات الشخصية ، ولو ان ذلك مما يستحق أن يراد ، ولكنه كان يريد ان ينفذ الانسان المغربى من الاستلاب حتى لا يكون لقمة سائغة في يد الاستعمار وكان يريد أن يعيد للانسان المغربى كرامته لان الانسان المستلب لا كرامة له وكان يريد ان يجعل من الانسان المغربى مفاضلا في سبيل قوميته وجلاده ، والانسان المستلب يفقد كل صفات المفاضل ، لانه

لا يعرف الوطن الذي يفاضل من أجله ، وبالتالي لا يعرف
المقومات التي يفاضل من أجلها

الانسية اذن مذهب في التعليم بقدر ما هي عقيدة
وطنية تستهدف استعادة الانسان المغربى العربى المسلم من
الاستلاب ليكون انسانا كامل الانسانية قادرا على تحمل
المسؤولية عن طريق تكوينه العلمى والثقافى وتحريه من
الاستعمار الفكرى والتبعية العقلية

وعن طريق الانسية المغربية كان علل يريد أن كون
جيش الثائرين على الماضى البائس للمستقبل المناضلين
فى سبيل بلادهم وشعبهم . وما اظن الا ان رسالته فى تحقيق
الانسية المغربية سيكون لها مردودها بين الشباب الذين
يقدرون دورهم ومسؤوليتهم فى بناء بلادهم

شباب

سأله أحد الصحفيين منذ بضعة أشهر
— هل أخذت تكتب مذكراتك ؟
فابتسم يرحمه الله وهو يجيب
— المذكرات يكتبها الشيوخ أما نحن الشباب فما
يزال أمامنا طريق العمل
لا أدري إذا ما كان الصحفي قد استغرب لهذا
الجواب المسكت وهو يلاحظ صفة الجد التي كان علال
يتحدث بها إليه أم اعتبره مداعبة عابرة ، ولكن الذى
اعرفه أنه كان يؤمن بأنه قادر على ما يقدر عليه الشباب
وأنه سيظل يعمل للمستقبل ولا وقت عنده لكتابة الماضى
لقد كان يؤمن بأنه شاب وسيظل شابا لان افكاره
لم يعترها وهن الشيخوخة ولا ضعف الكهولة ، ولان نضاله
ظل فى مسيرته يستطيع — وقد تجاوز السنين — أن يقوم
بنفس العمل الذى كان يقوم به وهو ابن الثلاثين
الشباب عنده شباب القلب ومظهره الحقيقى العمل
وقد كان قلبه — رغم العلة القاتلة — شابا لان طموحه
ظل فى قوته ووعيه وعمله ظل عمل الشباب ، وربما
تحدثهم حينما يكون مجال التحدى التفكير والتدبير والمناقشة

وابتكار الافكار والعمل على التنفيذ والكتابة والخطاب والمحاضرة والتدريس وهل رايت رجلا تعاقبت عليه، صروف الدهر كما تعاقبت على علال فسجن ونفى وشره وتنقل ، وخاض المعارك ذوات العدد ، ثم انتج كل ما انتجه علال من كتب ومحاضرات وتقارير وخطب ؟

هذه الفكرة النظرية العملية عن الشباب هي التي كان — يرحمه الله — يسبغها على كل أفراد شعبه ، فلا يريد أن يرى منهم الا الشباب لا يعترف بشيخوخة احد زامله في العمل ثم هو لا يعترف بالشباب الا اذا ضمن ان يحمل المعنى الحقيقي للشباب التفكير والعمل والحماس والشجاعة والانتماء والمجادلة في الراى والتضحية من اجل الفكرة

كان يعجبه — مثلا — ان يقرأ للشباب ، ولو محاولات في الادب والسياسة تحادثنا مرة عن شعر الشباب في المغرب وكنت متشائما من المحاولات التي نشرت في دواوين ولكنه عارضنى قائلا انها محاولات واعدة وبودى ان اجمع من نتاجهم مجموعة اكتب عنها دراسة كمقدمة وانشرها في كتاب وعدته ان اقدم له مجموعة من دواوينهم وقد انجزت وما ادرى اذا ما كان الوقت قد توفر له قبل ان يسلم الروح للقيام بهذا العمل الذى كان يعتبره مساهمة منه في تقويم الحركة الادبية

كان يؤمن بالمستقبل ويعتبر ان المستقبل فى يد الشباب ولذلك فالشباب هم القادرون على تسيير الحركة

السياسية والوطنية في هذه البلاد ، وهم القادرون على الالتصاق بالشعب وتعبئة الجماهير ، وخوض معركة العلم والتنمية الاقتصادية والاجتماعية وصيانة المبادئ والافكار وتطوير عقلية المواطن وقد قلنا من قبل انه كان يفكر بالمثال ، والمثال يأخذه من شخصه وزملائه ، ويعرف انهم — وهم شباب — غيروا وجه التاريخ في المغرب ، فام لا نطلب من شباب اليوم مثلاً ما صنع شباب الامس ؟

وكان يعتقد الحزب لا يمكن ان يواصل المسيرة اذا لم يعتمد على الشباب طلبة وعمالا وفلاحين واساتذة ولذلك تغمره السعادة اكثر ما تغمره حينما يجتمع الى نخبة منهم يحاضرهم او يناقشهم او يستمع الى آرائهم وكلما بدت فكرة جيدة من احدهم غمرت السعادة وجهه فابتسم وهو يكاد يصفق

لا يعتبر غلطات الشباب — ولو في صميم العقيدة والمبدأ — اخطاء ولكنه يعتبرها عثرات يجب ان تقوم ولا يتردد في السعى الى صاحبها — ولو غضب منه ليقوم العثرة ويصحح الخطأ

وكان صدره يتسع لحماس الشباب في الجامعة وحينما كانوا يضربون عن الدروس او يطرحون اسئلة غير لائقة احيانا يدرك في الحين انه مع شباب ، يقوم بدور الاستاذ الموجه فيحيل اسئلتهم الى موضوعات جدية ويضفي عليها من جدية عمله وترفعه في مقام العلم ما يحول الجدل الذي اريد له ان يكون عقيماً الى جدل

علمى مفيد

وكان هدفه من الاتصال بالجامعة فى نطاق التدريس هو ان تكون قاعة المحاضرة مركزا للتعاون العلمى مع الشباب على نحو ما يفهم التعليم والتثقيف ولم يكن احب اليه من محاضرات الجامعة ودار الحديث وكلية الشريعة رغم الجهد الذى كان يبذله وهو يتنقل بين فاس والرباط والدار البيضاء ورغم الجهد الذى كان يبذله فى تحضير المحاضرات والقائها وتصحيح الابحاث والامتحانات والاشراف على رسائل الشهادات ومناقشتها انها جميعا تنقله الى العالم الذى احبه وهو عالم الشباب ومناقشة مشاكل العلم ومساعدة الشباب على فتح آفاق تفكيرهم على عالم جديد

وكم تكون فرحته عظيمة حينما يلتقى مع رسالة قدمها طالب دبلوم دكتوراه فبحث فيها موضوعا علميا بحثا جديدا كان يترك موضوع السياسة ليحدثنا عن موضوع الرسالة وكأنه هو كاتبها كان يعتز بشباب هذا الجيل حينما يقومون بعمل علمى يرفع من شأن البحث العلمى ويقدم للمغرب عقلا واعيا وسرعان ما يصبح صاحب الرسالة صديقا له لا تلميذا وكم سمعته يفتخر بطلبة او اساتذة شباب فى كلية الحقوق او دار الحديث او كلية الشريعة ولو احتلفوا معه فى الراى او الانتما السياسى

كثير من الشباب ما يزالون يتهيبون الاستاذ او الشيخ

او الزعيم ولكنهم ما يكادون يجلسون اليه حتى يحيل
المجلس الى اصدقاء فتختفى كل الفروق المصطنعة لتضعه
في صفهم واحدا منهم يناقش ابسط المشاكل ليرتقى بالمجلس
الى اعلاها

وفي اجتماعات الحزب — مؤتمر او اجتماع المجلس
الوطني او اللجنة المركزية او اللجنة التنفيذية او اللجنة
الادارية ان مجلس الفرع — كان يستمع الى الجميع
وئكن حينما يتحدث أصغر الجماعة سنا كان ينصت باهتمام
ويحاول ان يضع افكاره في القالب الذي يسير في الاتجاه
ويساهم في تنمية التفكير في الموضوع المطروح

قام مرة في احد المؤتمرات السابقة شاب من مكناس
كان يمثل الطلبة الاستفلايين وأدلى بعدة افكار في غمرة
من الحماس ولكن خلال كان في مقدمة الذين أعجبوا بهذا
الشاب ناقشه في افكاره بعد ان غادر المنصة ، ولكنه
ملاه ثقة بالنفس وتنبا بأن يكون رجلا يفكر ويعمل ، ولعل
ظنه لم يخب

من خلال هذه المسيرة الشبابية لم يكن للذين يتهمون
خلال بأنه شيخ — ولو في السن — ثم يكن لهم الا ان
يجلسوا اليه او يقرأوا افكاره او يناقشوه الرأي حتى
يقتنعوا بأنه ظل في شبابه حتى وهو يسلم الروح كان
يتنقل بين العواصم ليقوم برسالتيه كما ينقل الشباب
الذين لا يشتكون من أن العمل يرهقهم

السلفية والثورية

كل الذين يكتبون أو يتحدثون عن الحركة الوطنية يقولون انها بدأت بحركة سلفية ، وكل الذين يكتبون أو يتحدثون عن علال الفاسى يقولون انه بدأ سلفيا ، وانطلق من السلفية الى الوطنية

وهذا صحيح من وجهة النظر التاريخية ، ولكنه فى حاجة الى توضيح من وجهة النظر الفكرية والواقعية
علال الفاسى وثلة المناضلين من اخوانه كانوا متأثرين الى حد كبير بالحركة السلفية التى تأثرت بالحركة الوهابية
والتي تدعو الى الرجوع بالاسلام الى منابعه الاولى حتى يتخلص المسلمون من طغيان الخرافة والفهم المخطئ للاسلام ، كما عرفه المتخلفون من العوام والعلماء على السواء

وكان من الطبيعى بل من التوفيق والتكامل ، ان تبدأ الحركة الوطنية فى المغرب هذه البداية ، لان المغرب

لم يكن واقعا تحت سيطرة الاستعمار فحسب ، ولكنه كان واقعا تحت تحالف خطير بين الاستعمار والرجعية وكان هذان المتحالفان يستفيد أحدهما من الآخر ويعتمد أحدهما على الآخر حتى انه لم يكن يصعب على الاستعمار

ان يستغل الرجعية دليفته ليبرر وجوده الضروري في المغرب كمنقذ ولم يكن يصعب على الرجعية ان تستغل الاستعمار لتحافظ على وجودها

السلفية كانت تعنى اذن الرجوع بالاسلام الى منابعه الاولى ولذلك فهي ترفض باسم الاسلام وعلى هدى منه كل الخرافات والتخلفات الفكرية التي علقت بعقور المسلمين ، ثم هي ترفض باسم الاسلام وبهدى منه كل التدخل الاجنبى الاستعماري في شؤون المسلمين من الحكم السياسى والادارى حتى السيطرة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية

بهذا المفهوم الواسع — الذى لا يعنى مطلقا الالتصاق بالماضى لانه ماضى — كان علال الفاسى سلفيا

ولكن سلفيته لم تكن تمنعه من أن يفتح فكره على كل ما ابتدع الفكر الانسانى في مختلف عصور التاريخ — وفي مقدمتها العصر الحاضر — من شؤون الفكر والعلم والسياسة والاقتصاد ولم تكن تمنعه من أن يرى الراى الجديد المبدع الذى لا يتعارض مع اصول الاسلام في شؤون الاقتصاد ولو تعارض مع الفروع كما رآها الفقهاء

أو بعضهم على الأقل

كان الطبع الذى يطبع فكر علل هو الاجتهاد وهو يفكر أو يتحدث أو يمارس أو يكتب ، فى شؤون العلم أو السياسة أو الفقه أو الاقتصاد ومن الواضح أن الاجتهاد يتعارض مع السلفية بالمفهوم الذى أصبح يعطى لها هذا المفهوم يعنى التقليد والتعبد لأفكار الماضى والالتصاق بما قال الاولون والاحتراز أو التخرج من كل فكر جديد ومن المؤكد أن فكر علل يتنافى مع كل هذه المعطيات لانه فكر مجتهد لا تقليد فيه ولا تبعية ولا جمود أكثر ما كان يوجهه فى اجتهاده المصلحة والمستقبل

مصلحة الأمة الإسلامية لأن أفقه كان أوسع من أن يفكر فى إطار الاقليم الضيق والأمة الإسلامية لا يربط بينها الدين فحسب ، ولكن تربط بينها كثير من المصالح المشتركة ومن التوجيه المشترك فى شؤونها لذلك كانت مصلحتها متقاربة ولذلك كان يفكر فى مشاكلها بعقل متفتح على المصلحة لا على النصوص والتقليد للاولين أو للاخيرين وكانت هذه المصلحة تدفع به الى أن يتخلص من التعبد حتى لأفكار الذين فكروا قبله وأصبح تفكيرهم ومنطقهم وكتاباتهم سلفية بالنسبة للمعاصرين لم يكن يتخرج من أن يدرس الفكر الماركسى مثلا وأن يعتبره تراثا انسانيا وأن يقدر بعض الاهداف الاقتصادية والاجتماعية منه يكن يرفضه كله لانه فكر ملحد ،

ولكن كان يرفض منه الجانب الالحادى طبعاً ويرفض منه الجانب الذى يتعارض مع الحرية ، ويرفض منه الجانب الذى يتعارض مع كرامة الانسان كفرد وكخليفة اولى فى المجتمع ويرفض منه ما يتعارض مع المصلحة العامة ويبتعد عن الراى والفكر الجديد المعتمد على الاصول الاسلامية المتحرر من كل جمود وتقليد المطبوع بطابع المصلحة العامة

هذا ركن اساسى فى فكره الاجتهادى

والركن الثانى فى هذا التفكير الاجتهادى هو المستقبل ويمكن ان نقول ان هذا الركن يعتمد على طبيعة علال وتكوينه كمناضل ثورى هدفه التغيير الجذرى لمظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى البلاد العربية والاسلامية والفكر الثورى لا يجتر الماضى ، ولا يفكر للفكر او لتمرين الذهن والعقل على الفروض المنطقية ولكن افكر الثورى يستهدف المستقبل قبل كل شئ ، ولذلك لا تكاد تجد علال يتحدث عن الماضى الا قليلاً ولا تكاد تجده يفرق فى الجدل المنطقى العقيم عن حدث مضى ، ولا تكاد تجده يكتب لمناقشة التاريخ الا حينما يريد ان يستفيد من كل ذلك لبناء المستقبل

كتابه النقد الذاتى برنامج بناء مستقبل وكل ما تحدث فيه عن الماضى انما كان ليؤكد خطأ الماضى وخطأ الالتصاق بهذا الماضى والتعبد له وليؤكد مرة اخرى

نظرتة المستقبلية وكتبه عن الشريعة أو دائما مع
الشعب أو «عقيدة وجهاد» أو « منهج الاستقلالية »
مثلا كلها تخطط للمستقبل ولا يرد الحديث عن الماضي
فيها الا لبناء المستقبل

الاجتهاد اذن هو الذى يطبع فكر علال والاجتهاد
يتنافى مع المفهوم الذى اعطى لكلمة السلفية ولذلك
كانت السلفية التى اتسمت بها الحركة الوطنية فى بداية
عهدنا ، والتى يوصف بها علال تعنى الثورية أكثر مما
تعنى الالتصاق بالماضى وتعنى تحدى الواقع من أجل
المستقبل

وبهذا المفهوم كان علال منطقيا حتى فى تطوره الفكرى،
لانه بدأ ثوريا وانتهى ثوريا
والثورية هى المستقبل وليست الماضى

البعد الإسلامي

قد يكون علال الفاسي سليل عائلة كثير من أبنائها من رجال الدين والقضاء وعلوم الاسلام ، ولذلك ترسب كل هذا الميراث في فكره وقد يكون تعلم في جامعة اسلامية معظم الدراسات فيها تتصل بالثقافة الاسلامية وبعلم الشريعة فطبعته اتجانه الفكرى والعلمى بالطابع الاسلامى

ولكن علال المفكر تخطى كل عوامل الوراثة وتأثير عهد الطاب ليكون مفكرا اسلاميا من طراز جديد قوامه التحرر من رواسب ائذين لم يفهموا الاسلام على حقيقته وتخلف الذين لم يدرسوا الاسلام فى عمقه ، والتحرر من الذين عادوا الدين عن جهل ، أو عادوه ليعبدوا الناس لدين جديد بآلهته وأنبيائه وأوليائه وبأفكاره وتعاليمه

سأل مرة أحد طلاب كلية الحقوق الرئيس علال هل انت لينينى أو ماوى فأجاب على الفور دون أن تفارق شفتيه ابتساماً: العذبة انا علال الفاسي اجابة لا تعنى الاعتداد بالنفس على نحو ما يمكن أن

يفهم الاعتداد المتسلقون ولكنها نعى الاستقلال بالفكر على نحو ما يفهم الاستقلال مفكر مجتهد يحس من نفسه القدرة على أن يدرس كل رأى وكل مفكر ، ثم يختط لنفسه الطريق ليكون هو هو

دراسة علل الناسى للإسلام لم تقتصر على أصوله أو فروعها أو تاريخه درس القرآن وفهم الأسس التى يخطتها القرآن لتحرير الإنسان فى عقيدته وفى عمله ، ولترابطه مباشرة بالله ولتجعل منه خليفة الله فى الأرض اعظم مسؤولية تحملها مخلوق

ودرس كل ما تفرع عن القرآن من عبادات فى أصولها ومن معاملات ومن توجيهات اقتصادية واجتماعية وأخلاقية

درس كل ذلك بعقل المفسر أو المحدث أو الفقيه على نحو ما كان المفسرون والمحدثون والفقهاء ، ولكن بعقلية العالم المفكر الذى يريد أن يستخرج من القرآن والحديث والفقه الأسس الإسلامية لبناء المجتمع الإسلامى الحديث

ثم أخذ يدرس كل ما أعطته الحضارة الإنسانية فى ميدان بناء المجتمع وفى ميدان الفكر الفلسفى والاقتصادى والاجتماعى والأخلاقى ، يدرس كل ذلك دون عقدة فى كتب المسيحيين واليهود وفى كتب الديانات الوضعية ، وفى كتب الفلاسفة غير المتدينين ، وفى كتب الملحديين وخصوص

الديانات وفي كتب الشيوعيين والاشتراكيين والفوضويين لم يكن يضيق بفكر أو دراسة لأن صاحبها غير إسلامي أو لأن اتجاهها ضد الدين أو لأن كاتبها عدو للإسلام ولكنه كان هاوي معرفة ، لا من أجل المعرفة فحسب ولكن ليزداد تقوية وتدعيما للاتجاه الذي اختطه وهو بناء مجتمع إسلامي مثالي يجيب على كل التساؤلات التي يطرحها المحدثون والمتمردون على الديانات ويعطى البديل الإسلامي لكل الانظمة الالحادية والشيوعية ، التي تختط لنفسها أول ما تختط ، القضاء على الدين لأنه كما تزعم افزيون الشعوب

الدين عنده عقيدة وعمل ونظام سياسي واقتصادي واجتماعي العقيدة واضحة ، ولكنها يجب أن تحرر من رواسب عهد التخلف ومن كل ما الصقه الجامدون والمتخلفون فكريا بالعقيدة الإسلامية وتلك معركته الأولى من أجل السلفية ضد الطرق وضد كل العابثين بالإسلام

والعمل والنظام هو الذي كافح من أجله طيلة حياته لايجاد مجتمع إسلامي يحكم في السياسة بأساس نظائري.اشورى ولكنه لا يستثنى مطلقا تطبيق أحدث الانظمة الديمقراطية والاساليب التي تحقق هذه الديمقراطية لأنها لا تخالف أساس الشورى في الإسلام ، ما دامت لا تتعارض مع ارادة الشعب ولا تستثنى طائفة أو طبقة من

الشعب

ولايجاد مجتمع يعتبر الاصول الاسلامية أساسية في
الاقتصاد الذى يجب أن يتحرر من الرأسمالية الطاغية التى
تعتبر المال اصل كل مجهود كما يجب أن يتحرر من
السيطرة المطلقة للدولة التى تعتبر المواطن مجرد مسمار في
دولاب المجتمع ويجب أن يتحرر من المضاريات
والرذويات ومن سيطرة طبقة مالكة مثلاً على الطبقات
المنتجة من فلاحين وعمال وصناع وتجار صغار الخ

والاسلام عنده يحكم النظام الاجتماعى الذى يجب أن
يقوم على أساس من الخلق الاسلامى ، لا صراع ولا
حرب بين الطبقات ، فى الوقت الذى يجب أن تعتبر مصالح
كل الافراد وكل فئات المجتمع لان لهم حقوقهم التى يجب
أن يحصلوا عليها بقدر ما يعملون

والاسلام عنده يحمى حرية الفرد وحرية المجتمع فى
التفكير والتعبير والعمل ويحمى حرية المرأة كما يحمى
حرية الرجل

والاسلام يمنع انظلم ظلم الدولة والسلطة ، وظلم
الافراد وظلم المجتمع

والاسلام يقرر المساواة فلا عنصرية ولا طائفية ، ولا
عبرة للجنس فى التمتع بكل الحقوق التى **يبيحها**
الاسلام

هذه معالم الطريق التى سلكها علال المفكر فى فهم

الاسلام ورغبته الكاملة في تطبيقه في المجتمع الاسلامي .
وهو لا يرفض اى أسلوب حديث نبلورة هذه الافكار
السياسية ولا يجمد عند بعض الاصول التي لم يعد
ممكنا تطبيقها فبابا الاجتهاد والمصالح المرسله فيها متسع
لتنظيم المجتمع الاسلامي الحديث

واذا كان يعتقد أن الاسلام صالح للعصر لانه لم يهمل
الجانب التنظيمي للمجتمع ، فهو لا يقبل أن يحارب الاسلام
باسم التقدميه او باسم العلمانيه او باسم الشيوعيه او
باسم المسيحيه او اليهوديه او باسم اى دين آخر . الاسلام
يجب أن يدافع عن نفسه ، والمسلمون يجب أن يدافعوا عن
انفسهم حتى لا تهدم عقيدتهم ومجتمعهم واخلاقهم شعارات
ملحده نابعة من الداخل او قادمة من الخارج

في قلبه الكبير اجتمعت الوطنيه والاسلام كل منهما
كان في حاجة الى نضال للفهم ونضال للتنفيذ والتطبيق
وهذا ما قام به في السنين الخمسين التي قضاها مناضلا
يرحمه الله فقد كان ذا قلب كبير

المسلمون والمسؤولية

الافكار والعقائد والمبادئ لاتقوم بنفسها عذد علال فأكبر
 بما كان يكره التجريديت لالانه من أنصار المذهب
 البراحماتيزى فى الفلسفة ، ولكن لانه يؤمن بالانسان
 ويعتقد ان كل خير انما يراد به الانسان
 لذلك فالاسلام اذى حللنا افكاره عنه فى الفصل
 الماضى لن يكون اسلام الكتب والنظريات ولكن اسلام
 المسلمين

المسلمون عنده طائفة تتحمل مسؤولية فكرية وعقيدية وعملية ، واجبها ان تكون موجودة وان تكون لها السيادة في المنطقة التي تكون فيها الاغلبية وان تكون لها الكرامة الانسانية اولا والكرامة التي يمنحها اياها دينها وهو اقوم الاديان واكثر الاديان احتراماً للانسان وللحرية والكرامة وافكر

المسلمون يجب ان يتكثروا لالعصبة دينية فحسب ولكن

ليمكنهم الدناع عن العقيدة الاسلاميه ، وليمكنهم ممارستها .
بكامل الحرية ، كما تمارس العقائد الاخرى بكامل الحرية
اذا كانوا اغابيه فيجب الا ينحلوا من مسؤوليتهم في المحافظه
على الاسلام لانهم لم يكونوا مسلمين لاعتناق عقيدة فحسب .
ولكن الى جانب ذلك ليتحملوا مسؤوليه ، واذا كانوا اقلية
فيجب ان يتكثروا لممارسة عقيدتهم من جهة ، وللدفاع عنها
من جهة اخرى حتى لا تنقصها من اطرافها الاغلبية

ويعتقد علل الفاسى يرحمه الله ان الدفاع عن المسلمين
ليس واجب المسلمين في الوطن المعتدى عليهم فيه فحسب ،
ولكنه واجب المسلمين في جميع الاوطان التى تعتق الاسلام .
حينما كان يعمل من اجل الحركة البربريه كان يعرف
الجوانب العنصريه والوطنية والقضائية والنفوية التى كان
يهدف لها الاستعمار باسياسة البربريه ، ولكنه كان يعتبر
ان الجانب الاسلامى جماع هذه الجوانب جميعا الاستعمار
كان يستهدف فعل طائفة كبيرة من الشعب دينيا عن بقية
الطوائف الاخرى . ومن الدين كان يمكن ان يصل الى تمزيق
وحدة الوطن والى الاستيلاء على مختلف اجزائه

وحينما كان يناصر المسلمين في باكستان او كشمير او
نيجيريا او الجزائر او فلسطين او ايريتريا او الفلبين كان
يعرف ان الاسلام هو الرابطة التى تكون هذه الاوطان .
وان ضياع الاسلام هو ضياع للمسلمين ومحق للشخصية
لتى ان يكونوا — حتى انسانيا — بدونها

اشتهر عن علال الفاسى انه مفكر اسلامى ويمكن ان نقول لهذه الشهرة بعيدين اساسيين

اولهما انه يعرف الاسلام على حقيقته ويدرس فلسفته ويستخرج الاسس التى يمكن ان يتعايش الاسلام بها مع العصر معايشة تزيد في تقوية العصرية عن طريق الحقيقة الاسلامية ، دون التخلي عن الاصول الاساسية في الاسلام وثانيهما ان الطائفة الاسلامية يجب ان تربط برباط مهم هو الفهم المشترك للاسلام من جهة ، وهو التعاون والتضامن والدفاع عن المسلمين كلما مسهم طائف من الظلم او العدوان وانهم يجب ان يتحملوا مسؤوليتهم كمسلمين في الدفاع عن انفسهم وعن بعضهم ، ولو ربط بينهم مايريد الصين او اندونيسيا بالمغرب مثلا

ويجب ان نوضح ان الرئيس علال كان يأسف لانحدار الخلافة الاسلامية الى الهوة التى سقطت فيها ، ويأسف للتضاء على الخلافة كجامعة كانت تربط بين المسلمين ومن ثم كان تأييده الكامل للمؤتمر الاسلامى ولتكوين امانه عامة لهذا المؤتمر الذى يمكن ان يجمع كلمة المسلمين فى المشاكل الكبرى من جهة ، ويمكن ان يدافع عن المسلمين حينما يتعرضون للاخطار الماحقة التى يتعرضون لها هناك او هنالك

ومن هنا كان يشارك فى الجمعيات والرابطات الاسلامية ليوجهها هذه الوجهة الحقيقية الكبرى وهى الدفاع عن

المسلمين حتى يظل الاسلام حقيقة ثابتة
فلا اسلام بغير هذه المسلمين

العُروبة

القيم التى كان يعتمد عليها لخلق تكوين المغرب يمكن
أن تكون قيما وطنية عقيدية قومية وقد ألمحنا فيما تقدم
من هذه الفصول الى القيم الوطنية والعقيدية ونخصص
هذا الفصل للقيمة القومية

من الاناشيد الاولى التى كان يوجه بها الشباب
ويأهب حماسهم نشيد يقول فيه كلنا من عربى خالص أو
بربرى وقد ظل هذا الاتجاه يوجه تفكيره فى كل ما كتب
وخطب وفكر وخطط

نحن عرب وبربر لا يختلف نسبنا فالعرب والبربر
من أرومة واحدة ننقل البربر الى شمال افريقيا قبل
الاسلام بقرون وحافظوا على هذه البلاد كأقوى ما يكون
الحفاظ وانتقل اليها العرب مع الاسلام فنقلوا عقيدته
ولغة وحضارة واشترك العرب والبربر فى قيادة البلاد
سياسيا وعلميا وحضاريا وتكون منهم المغربى الذى
يسكن الجبل أو السهل ويتحدث العربية أو البربرية

ويدين بالاسلام ويدافع عن الوطن

فكرة القومية الضيقة بمعناها العنصرى لم يحاول أن يبرزها في المغرب الا الاستعمار ، ولكن مقاومتها جاءت من كل سكان البلاد واذا كانت المقاومة قد ظهرت في بداية الامر عندما أعلن الظهير البربرى في شهر ماي سنة 1930 فقد استمرت المقاومة في الجبال والمدن ومن كل المواطنين سواء منهم من يقول انه عربى او بربرى حتى تحقق الاستقلال

كان الجميع يعلن دفاعه عن عروبة هذه البلاد والفهم الحقيقى للعروبة كان يعلنه علال في غير ما مناسبة فيقول ان القضية ليست قضية جنسية او عنصرية فكنا ننتمى الى جنس واحد وعنصر واحد ولكنها قضية واقع وفكر وثقافة . اوراق يقول ان المغاربة يكونون عنصرا واحدا ، ولا يمكن أن يزعم احد انه عربى خالص او بربرى خالص ، ومن الذين يزعمون انهم عرب خالص انحدروا من عائلات بربرية، ومن الذين يزعمون انهم بربر خالص شرفاء انحدروا من عائلات عربية . والقبليّة لا محل لها في بلاد وحده الاسلام ومنحته العربية القرآن وعلوم اللسان

عروبة المغرب اذن تعنى المعنى الواسع للعروبة التى تشمل الاسلام والثقافة العربية والاسلامية وكثيرون من جهابذة علماء اللغة وعلماء الاسلام في المغرب ينتمون الى قبائل بربرية

وبهذا المفهوم الثقافى الفكرى الحضارى العام كان

يفهم عروبة المغرب وبهذا المفهوم أيضا كان يفاضل ليصن المغرب بالوطن العربى فى نضاله التحررى ، وليجعل منه عضوا فى الجامعة العربية ، ثم ليوحده فى مجموعة المغرب العربى الذى يشمل ما بين سيناء وموريطانيا ، ثم فى الوحدة العربية الكبرى

وبما أن العروبة ليست مفهوما جنسيا أو عنصريا فان اللغة العربية التى هى لغة القرآن ولغة الثقافة التى اضطلع المغرب بجزء كبير منها يجب أن تكون اللغة الوطنية لهذه البلاد لا فى أندستور والقانون فحسب ، ولكن فى التعليم والحديث والحياة العامة كذلك

المعارك التى خاضها علال فى سبيل اللغة العربية كان يعتبرها من متمات استقلال هذه البلاد الاستقلال السياسى لا يكفى اذا لم يحمه الاستقلال الفكرى والفكر لا يستقل وهو أسير لغة أجنبية نفس المنطق الذى استعمله الاستعمار حينما حاول أن يحول هذه البلاد عن أصالتها وقوميتها فبدأ باللغة التى جعلها لغة التعليم ولغة لإدارة ولغة الحياة العامة ، نفس هذا المنطق كان يفرض على علال أن يكون تحرير المغرب واستعادة أصالته وقوميته يأتى عن طريق الإسلام والوطنية واللغة القومية التى يجب أن تكون لغة التعليم والإدارة والحياة العامة .

لقد كانت المعركة التى خاضها من أجل تعريب التعليم معركة ضارية ، لأنها لم تكن فى وجه تزييف الاتجاه المنحرف، فى المغرب فحسب ولكنها كانت أيضا فى وجه الدعوات

الفرنكوفونية والدعوات التي تزعم أن اللغة العربية قاصرة عن أن تستجيب للثقافة الحديثة وانتصر في معركة تعريب القضاء ، وبدأ ينتصر في معركة تعريب التعليم وكان يستبشر خيرا كلما خطا التعريب خطوة ولو قصيرة إلى الامام وشن في السنة الماضية حملة من أجل تعريب الإدارة والحياة العامة وكانت سنة 1973 سنة مطالبة الشعب بالتعريب ويمكن أن نقول أنه نجح في تعبئة الشعب للكفاح في سبيل الفكرة واستبشر خيرا بالمنشور الذي وجهه الوزير الأول في موضوع التعريب ، وكنن ما يزال يرصد النتائج

هكذا كانت العروبة عنده كلفة وثقافة أساسا من أسس القومية المغربية ، وأساسا من أسس الكيان الوطني لهذه البلاد ومن هنا كان يعبئ نفسه وحزبه للنضال في سبيل البلاد العربية المضطهدة بنفس الحماس والقوة التي كان يعبئ بهما نفسه وحزبه للكفاح في سبيل المغرب كان يعتبر أن أي جزء من البلاد العربية إذا ما اضطهد أو احتل أو استعمر فذلك لا يمس هذا الجزء فحسب ولكنه يمس كل الوطن العربي بما في ذلك المغرب

ومن هنا يأتي حماسه الكبير لتحرير فلسطين كجزء مهم — بل كقلب الوطن العربي والإسلامي . ومن هنا كانت دعوته الملحة إلى توحيد البلاد العربية ، ولو في وحدات اقليمية كمقدمة للوحدة الشاملة وكان آخر نداء وجهه

وهو في أبي ظبي والكويت أن أمارات الخليج يجب أن
تتوحد لصد كل عدوان عليها
بهذا المفهوم الواقعي المستمد من فكر متفتح كان
يفهم العروبة ويدافع عن عروبة المغرب

العدالة والقانون

اعتقد أن مفهوم الكلمات يأخذ من الشخص أكثر مما يأخذ من اللغة الميثة بل ولا من التاريخ والماضي القريب منه والبعيد فمفهوم كلمة عندي قد يكون هو غير مفهومك ، ولو اتفقنا جميعا على الاصل اللغوي الذي نستمد منه جميعا المعنى الاولى للكلمة لاننى اعطى الكلمة التى استعملها شحنة من شخصيتى ، من ثقافتى من مفهومى للحياة والناس كما تعطى فنخرج الكلمة من قاموسيتها المتحجرة الى انسنتها

من هذا المنطلق يمكن أن نقول ان معنى كلمة عدالة يأخذ فى ذهن علال الفاسى مفهوما قد لا يكون هو المفهوم الذى يأخذه عند مفكر يعيش فى بيئة منظمة يجرى فيها العدل مجراه وقد لا يكون هو المفهوم الذى يأخذه عند رجل لا يعرف من كلمة العدالة الا المعنى الذى يأخذ من القاموس ، ولو كان قاموسا قانونيا .

كلمة العدالة عند علّال الفاسى تأخذ معناها
الحقيقى من الاختطاف الذى تعرض له وهو ابن العشرين
ورمى به فى السجن أولا ، ثم فى غرفة مظلمة من قرية
مهجورة لا يعرفه أحد فيها ، وتأخذ معناها من الاختطف
الذى تعرض له بعد ذلك بسبع سنوات ورمى به فى
زنزانة من قرية مهجورة فى الكابون ليقضى بها تسع
سنوات هى أزهر فترات شبابه دون أن يعرف عن الدنيا
أو تعرف عنه وتأخذ معناها من شعوره الممتزج مع
مواطنيه وهو يراهم بساقون الى السجون والمعتقلات
والمنافى ، بل والمقصنة ، دون أن تطرف عين الحاكم وهو
يصدر حكمه بنظرة الى قانون ، ودون أن يرتعش ضميره
بعدل وتأخذ معناها من المواطن الذى يحدثه كيف ضربه
القائد على خده ليهدر كرامته ويمحو شخصيته ، وتأخذ
معناها من الانسان الذى عذب حتى الاحراق لان له رأيا
يخالف رأى معذبه وتأخذ معناها من الانسان الذى
طورد من قريته لانه كان يبيت خائفا من أن تتخطف عصابة
ما عائلته واطفاله

من كل ذلك اخذ علّال الفاسى المعانى الحقيقية لكلمة
عدالة وبكل ذلك اخذ يناضل ليحقق العدالة فى هذه
البلاد عن طريق التفكير والنضال فى سبيل تحقيقها وعن
طريق التشريع وعن طريق الدفاع عنها لصالح المظلومين
وضد الظالمين

لقد بذل علال من ذات نفسه في اللجان التي تكونت
لوضع انتشريات في الاحوال الشخصية والقوانين الاخرى
بفكره المتفتح وعقله الواعي وبروح التطور التي اكتسبها
اثناء دراسته الواسعة لمختلف القوانين
وكان يومين بفكرة مهمة جدا وهي أن البلاد العربية
والاسلامية انماقت وراء خطأ في التفكير مصدره
الاستعمار والتبعية الفكرية ، حينما اخذت بالقوانين
الفرنسية كأعظم ما وصل اليه الفكر الانساني في التنظيم
القانوني وفي ضمان العدل للناس ، وهم ينسون أن هذه
القوانين استمدت من القانون الروماني من جهة ، ووضعت
لبينة غير بيئتنا واجتمع غير مجتمعنا ولمشاكل غير
مشاكلنا واذا كان يمكن التقليد في كثير من الاشياء ، فان
القانون الذي يفترض انه يضمن العدالة لا يمكن التقليد
فيه او نقله بالحرف

ولهذا كان يدعو منذ البداية انه لا يجب ان نقلد
المقادين ولو كانوا عربا ومسلمين حتى لا نقع في نفس
الاطياء ولهذا ايضا كان ينمى دائما على اللجان المغربية
انتمى وضعت بعض القوانين المدنية والجنائية فلم تزد على ان
ترجمت ان صح انها ترجمت ، أو على الاصح وضعت
كلمة المغرب ومغربي بدلا من كلمة فرنسا وفرنسي وكان
يدعو الى تغيير هذه القوانين لا لانها اجنبية فحسب ، ولكن
لأنها لا تضمن العدالة التي نريدها لبلادنا ولواطنينا

ولجئنا العدالة كما نفهمها نحن المسلمين المغاربة
العرب لا كما يفهمها لنا الاوربيون المتشبعون بالعقلية
الغربية

العدالة عنده ليست قيمة مطلقة ، ولكنها قيمة
نابعة من حاجة الانسان والمجتمع ، ومن نوعية تركيب
هذا المجتمع ومن مستواه الاقتصادي والاجتماعي
وفي هذا النطاق خاض معركة مغربة القضاء وتعريبه
لانه عن طريق التفكير المغربي وباللغة العربية يمكن ان
نضمن الكثير من العدالة التي لا يمكن ان نضمنها بالقضاء
الاجنبى الموضوع باللغة الاجنبية ومعركته في هذا الموضوع
هى التي انتجت قانون مغربة القضاء وتعريبه الذى صدر
عن مجلس النواب الاول

وفي اطار تحقيق العدالة كتب كتابيه اعظمين اللذين
تهافت عليهما رجال القانون الاجانب فترجموها الى
الفرنسية ، وهما مقاصد الشريعة ومكارمها و «دفاع
عن الشريعة» فقد اغنى الفكر الاسلامى بهذين الكتابين
اللذين اوضح فيهما بن الشريعة الاسلامية صالحة لان
تكون مصدرا للقانون المغربى مع التفتح الذى عرف عنه ،
والذى يقوم على اساس الاجتهاد الفكرى وتطبيق الشريعة
بروح العصر على المجتمع المسلم لا تطبيق القانون
الرومانى او الفرنسى المأخوذ عنه — ولو بروح العصر —
وأعتقد ان قراءة هذين الكتابين تفتح اعين رجال القانون

والشريعة على الاخص على كثير من الافاق التى نحب
كمغاربة مسلمين ننشد العدل فى بلادنا أن تفتتح آفاقهم
عليها

هذا النبع من فيض علال الفكرى فيما يتصل بالعدالة
كان زاده فى نضاله من أجل تحقيق العدالة فى بلاده فقد
كان لا يطبق أن يعتدى على القانون ، لأن القانون عنده
أقدس تعبير عن ضمير الأمة وكان لا يطبق أن يسمع عن
ظلم يقع على مواطن فأحرى على مجموع المواطنين وكان
لا يطبق أن ينحرف حماة القانون بالعدل ، لأنهم بذلك
لا يظلمون الانسان فحسب ، ولكنهم يمرغون وجه العدالة
التى يمثلونها فى الوحل

وكان يناضل بكل ما يملك من قوة النضال الفكرية
والعلمية وبكل شجاعة المناضل حتى يبقى القانون أساس
العدالة فى هذه البلاد لأنه يؤمن بالأعدل بدون قانون
ومذكراته الاخيرتان اللتان عارض فيهما الإصلاحات
القضائية التى سنتها الحكومة من أعظم ما يسجل فى
تاريخه النير

لقد كان يعتبر العدالة قوام الحياة وقوام الاخلاق
وقوام الاستقرار ، وقوام السلطة ، ويوم تنهدم العدالة
فى بلاد ما يتشاعم من أن تنهدم كل هذه القيم ، ولذلك
لا غرابة اذا كان قد نصب نفسه ليكون المناضل فى سبيل
العدالة بالمفهوم الذى اخذه عنها من خلال نضاله وممارسته
وعلمه وكتاباتهِ وتفكيره

وحدة المواطنين

قد تكون كلمة « وحدة » من أكثر الكلمات التي ردها
لعمال في حياته ذلك انه كان يعرف من تاريخ المغرب
الحديث ان الوطن وقع اسير الاستعمار لاسباب في مقدمتها
ان وحدته تمزقت وكان يعرف من التاريخ الحديث للعرب
والمسلمين انهم وقعوا في قبضة الاستعمار لان وحدتهم
تمزقت

وكان الى جانب هذا الدرس التاريخي يعيش مع
الواقع المغربي فيجد ان المغرب أصبح مغارب ، واننا
أصبحنا نتحدث عن الشمال والجنوب وعن المنطقة
الفرنسية والمنطقة الاسبانية والمنطقة الطنجية وكان
يعرف بالممارسة والتجربة التي كانت تقض مضجعه ان
المغربي حينما ينتقل من المنطقة السلطانية الى طنجة
لا بد ان يقدم جواز سفره اربع مرات على الاقل ثم عاش
مع العرب وهم يهتفون بالوحدة ويكونون الجامعة العربية،
ولكنهم يدخلون حرب فلسطين ثمانية دول وثمانية جيوش

لم تتمكن حتى من التنسيق فيما بينها ، فكانت الهزيمة
وجاء الاستقلال فوجد يرحمه الله أن أحداثات ايكمر
ليبان واتفاقيات باريس ومدريد تكرر تمزيق المغرب ،
ولو انها تعترف بشكل أو بآخر بالاستقلال وبحث عن
الاجزاء المهمة من المغرب شنقيط ، الصحراء الشرقية ،
الصحراء الغربية سيدي افنى وطرفاية والساقبة
الحمراء ووادي الذهب فوجدها جميعا ابتعدت عن
المغرب وبحث عن ستة ومليية فوجدها ابتعدنا عن
المغرب

من ثمة تقمصت فيه فكرة الوحدة واعتبرها رسالته
الاولى بل اعتبر ان عدم عودة الوحدة الى المغرب
مأساة لا تقل عن مأساة الحماية وكان وحده يشعر
بالمأساة في الوقت الذي كان الجميع يعيش عرس
الاستقلال

هذه احدي القضايا الكبرى التي عاش لها بقية حياته
منذ سنة الاستقلال حتى اسلم الروح وكان نداء
الكويت ، الذي هز اركان العالم من جديد آخر صيحة
صدرت عن ضمير المغرب قبل أن يودع الدنيا بأيام

هكذا عالج وحدة المغرب

والى جانب وحدة المغرب كان يعالج قضية وحدة

المغرب العربى والتاريخ سيسجل بمداد الفخر دعوته الى وحدة المغرب العربى منذ بدأ يفكر وطنيا فقد كانت الوطنية عنده اوسع من ان تضيق فلا تشمل المغرب العربى لهذا كانت مساهمته الرئيسية فى مكتب المغرب العربى بالقاهرة طيلة السنوات التى قضاها فى المشرق العربى ابتداء من سنة 1947 ، ومساهمته فى انشاء لجنه تحرير المغرب العربى التى ترأسها البطل المجاهد محمد ابن عبد الكريم الخطابى والتاريخ سيسجل بمداد الفخر مساهمته فى مؤتمر طنجة للحزب الوطنى التونسى والجزائرية والمغربية سنة 1958 واستمر يدعو الى وحدة المغرب العربى ويجعلها من القضايا الاساس التى يلح عليها كلما قابل المسؤولين فى المغرب أو الجزائر أو تونس واعتبر وحدة المغرب العربى ضرورة وطنية واقتصادية واجتماعية فأكد فى وثيقة التعادلية 11 يناير 1963 ان تحقيق اتعادلية لا يتم الا فى اطار المغرب العربى

وقد تطورت فكرة المغرب العربى عند علال فنادى فى آخر اجتماع للمجلس الوطنى — 10 و 11 نوفمبر 1973 — وفى الندوة التى عقدها الحزب لدراسة هذا الموضوع فى — 2 و 3 فبراير 1974 — ان وحدة المغرب العربى يجب ان تشمل مصر فتكون من سيناء حتى موريطانيا وهى الفكرة التى دعا الى تحقيقها فى اجتماعه

مع وفد الاتحاد الاشتراكي المصري الذي زار المغرب في شهر مارس الماضي

ولم تكن وحدة المغرب العربي تتعارض عنده مع الوحدة العربية فقد كان يرى أن الوحدات الإقليمية طريق الوحدة الكاملة ولهذا أيد وحدة مصر وسوريا ومشاريع وحدة مصر مع السودان ، ووحدة مصر مع ليبيا ، ووحدة تونس مع ليبيا

ودعا في تصريحاته الأخيرة في الكويت الى وحدة دول الخليج

فكرة الوحدة عند علل الفاسي ليست منبعثة من عاطفة وحماس ولكنها منطلقة من فلسفة وطنية فقد كان يعتبر أن عهد الوطنية الضيقة المقفلة قد ولى وأن هذه البلاد التي تربطها اللغة والدين والفكر المشترك والمصير المشترك وتواجهها مشاكل خطيرة استعمارية فلسطين « واقتصادية واجتماعية لا يمكن أن تتخلص من مشاكلها الا بوحدة اقطارها بالشكل التدريجي الذي يحقق الوحدة الكاملة كهدف ، والا بوحدة الراى بين العاملين في الحقل الوطنى والسياسى . ومن ثمة كان عاملا فعلا في تكوين الكتلة الوطنية من حزب الاستقلال والاتحاد الوطنى للقوات الشعبية وكان يلح على عودة الوحدة الى الحزب ولو بالاندماج تحت اسم الكتلة واعتبر تكوين الكتلة في 26 يوليوز 1970 انتصارا للضمير الوطنى الذى

كان يمثله والفترة اتي نشطت فيها الكتلة كانت أسعد
فترات حياته

لقد كان علال رائدا وليس غريبا عن رائد كلال أن
ينصب نفسه للنضال في سبيل وحدة الوطن ووحدة
المواطنين ووحدة المغرب العربي والوحدة العربية
ولذلك كان يأبى الا أن يصف حزب الاستقلال بأنه « الحزب
الموحد

ضميره الصحراوي

في الوقت الذي تعيش البلاد حزنها العميق بمقد
الرجل الذي التصقت حياته بالكفاح في سبيل الاستقلال
والحرية والوحدة تنبث المشكلة الاساس التي عرف بها
وعرفت به وهي مشكلة استرجاع الصحراء المغربية
وقد كان علال الفاسي يرحمه الله يربط نضاله بقضيه
الصحراء وخاصة بعد ان اتخذت قضية الاستقلال طريقها
نحو الحل وتصعدت عمليات المقاومة وتنظيم جيش التحرير
فراى رحمه الله ان الجهود التي بذلتها فرنسا في اواخر
الاربعينات تستهدف الحاق المناطق الصحراوية التي تحتلها
بافريقيا الغربية او بالجزائر ، وتنسبه الى ان الاستقلال
الذي سنحصل عليه سيكون استقلالا ناقصا ، ولذلك
بدا يحرك قضية الصحراء المغربية في كل الاتجاهات

وعاد علال الفاسي الى المغرب بعد الذي نصرته
من موقفه الصارم من الاتجاه الذي حاول المفاوض
الفرنسي ان يعطيه لمؤتمر ايكس ليبان ، وكان المواطنون

في عرس لتحقيق الاستقلال سواء الذين شاركوا في تحقيقه بالعمل المباشر أو بالفداء والمقاومة ، وكان البعض منا في شغل بتنظيم الحكم وتسيير الحكومة والادارة وهو وحده رحمه الله كان يقول في تنبيه شببيه بالانذار للمواطنين شعبا وحزبا وحكومة استقلالنا ما يزال ناقصا ما دامت قضية الصحراء لم تحل واخذ يبذل في قضية الصحراء ما كان يبذله في قضية الاستقلال من نضال سياسي ودبلوماسي وتوعية وطنية وعمل للفداء والتضحية

ذلك انه كان يعرف المغرب في حدوده الطبيعية والتاريخية ، ويعرف ان الاستقلال الناقص لا يعتبر استقلالا حقيقيا ولو اعترفت به الدول وتكونت فيه الحكومة ومارست عملها السياسي والاداري الاستقلال عنده ارض ومواطنون والاستقلال الذي حصلنا عليه سنة 55 وتأكد بالاتفاق مع فرنسا ثم اسبانية 1956 تنقص فيه الارض وينقص المواطنون لان جزءا كبيرا من ارضنا من توات حتى تندوف ومن نهر السينغال حتى طرفاية كان ما يزال في غيبة عن السيادة المغربية ، ولهذا وهب نضاله بعد الاستقلال مباشرة من أجل هذه المناطق المفتصة

ويشهد الله ويشهد التاريخ انه كان يعتبر النضال في قضية كهذه لا يقل عن النضال في سبيل القضاء على عهد الحماية ولم يكن في مبدأ الامر يحس بهذا المعنى

العميق الا هو والاخوان المغاربة الصحراويون الذين تركناهم في الاسر وجئنا الى هذا الجزء المحرر من بلادنا. نحتفل بالاستقلال كان الحزن يطل من عينيه وكان الالم يعتصر قلبه حينما لا يجد التجاوب كاملا ، ولذلك كان عليه ان يناضل في عدة واجهات كما كان يناضل في اواخر العشرينات واول ثلاثينات

كان عليه ان يناضل ليقنع بعض المسؤولين في الحزب بحقيقة الوطن كما تركه الاجداد وكما استولى عليه الحماة ، وكان عليه ان يناضل ليقنع المسؤولين في الحكم بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب ، وكان عليه ان ينشر الوعي بالصحراء بين أبناء الوطن ، وكان عليه ان يعمل لاثارة الموضوع على النطاق الحكومي بين المغرب من جهة ، وبين فرنسا ، وبين اسبانيا من جهة أخرى

وعلال من الذين لا يملون العمل اذا كان لصالح الوطن ، فأحرى اذا كان في سبيل قضية تعتبر من صميم العمل الوطني وهي قضية اجزاء مهمة من ترابنا الوطني. ولذاك انشأ صحيفة اسبوعية هي صحراء المغرب ومجلة شهرية بالفرنسية هي الافاق الصحراوية اخذ ينشر فيها مجموعة من الوثائق التاريخية التي تؤكد مغربية كل جزء من الصحراء وينشر المقالات والابحاث عن مغربية الصحراء ثم جعل من الصحراء محور جهاده

واتصالاته وخطبه ومحاضراته وبياناته في الحزب وعزز جهاده بأصدقاء ثلة من الصحراويين كالأمير فال واد عمير والمختار ولد بابه والمجاهدين من المنطقة الموريطانية وابناء الشيخ ماء العينين من المنطقة التي تحتلها اسبانيا وقد كانوا جميعا شاهدا عيانا على مغربية الصحراء

وكان جهاده السرى أكثر من جهاده العلوى فقد كان يجتمع مع المغفور له محمد الخامس لتبوير الخطة من أجل تحرير الصحراء وكان يعمل لتحويل نضال جيش التحرير الى الصحراء حتى كاد يحررها ، بل دخل بعض اقاليمها لولا التحول الذى طرأ على الموضوع مما بحفظه التاريخ وسيرويه لا محالة وكانت رحلته على رأس وفد من الحزب فى إطار العمل الذى نظمه محمد الخامس رحمه الله لاقتناع الرأى العام الدولى بمغربة الصحراء فى مقدمة الاعمال التى قام بها

وهكذا ملأت عليه الصحراء كل تفكيره واستغرقت كل عمله فيما يكتب ويحاضر وينظم ويصدر من خرائط وابحاث ويقنع من مسؤولين وأجانب ويعيد للشعب من وعى بقضية الوحدة وبأهمية الصحراء ، وهو الوعى الذى غاب عن جيل الاستقلال بسبب التمزيق الذى قامت به جيوش الاحتلال لارضنا

وقد اعتاد علال الفاسى أثناء نضاله الطويل على

شئ اساس هو الجحود الذى ينتهى بالاعتراف بالجميل
وبالاقتناع بالرأى مرغم المجهودات التى بذلها للاقتناع بأن
الصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب لاقى جحودا فى هذا
الموضوع فى بعض الأحيان فسموا الخريطة التى وضعها
للمغرب بخريطة علال الفاسى واقبرت الخريطة التى بذى
جهودا كبرى فى سبيل طبعها علميا وبالالوان ، وقالوا
ليتنا نستطيع ان ندير ما حررناه فكيف بنا بما لم نحرره
وقال عنه الاجانب والمستعمرون انه يطمع فى توسيع
رقعة المغرب وقال عنه الباحثون حتى الاجانب منهم انه
الرجل الاول الذى عرّف الناس بحقيقة الوطن المغربى
وحقيقة المواطنين المغاربة كما استلمتها الحماية من عهد
الاستقلال وظل ميزانه فى الافق الوطنى والافق الدولى
يتأرجح بين الجحود والاعتراف بالجميل حتى انتصرت
الفكرة ولو لم ينتصر نهائيا فى تنفيذها
ولا يسعنا فى هذه اللمحات ان نكتب التاريخ ، وأن
نعرف المواطنين بالاسباب التى جعلت نضاله فى الصحراء
لم يأت كل ثماره فاذلك موضوعه مما سيكتب عن تاريخ
الحركة الوطنية ودور علال الفاسى فيها ولكن الذى
يهمنا هو انه أدى الرسالة حتى اصبحت قضية الصحراء
قضية المواطنين جميعهم وما أشك فى أنه مات قرير العين
لانه كان يعرف رحمه الله بالتجربة أن افكاره الوطنية
حينما يقذف بها فكره النير ووطنيته الصادقة وايمانه

المطلق وعقيدته التي لا تقبل الترحيح ومنطقه الذي لا يقبل
الانكار ولا الرفض ونضاله المسميت المستمر ، هذه
الافكار وان رسبت في الاعماق فانها تنداح كما تنداح دائرة
الماء في بحيرة هادئة لا تلبث ان تصل آثارها الى اطراف
البحيرة ولو بعد حين ولهذا لم يكن يتأثر بالبحرود أو يحجم
عن تبليغ رسالته الصحراوية كدابه في كل النضال الذي
قام به منذ وعى وانما كان يسير وهو يكسب الانصار في
مسيرته حتى مات ونيس في المغرب أحد لا يومن بضرورة
استرجاع الصحراء ، وعاش وهو يشهد اعتراف كثير من
الدول العربية والاسلامية والاجنبية بأن الصحراء جزء لا
يتجزأ من المغرب

كان من الممكن وقد تحققت أكبر أمنية عند الوطنيين
وهي الاستقلال ان يخذ علال الفاسي الى الراحة ، وان
يهادن الاستعمار الذي استبد بتقرير مصير الاجزاء
المغتصبة من بلادنا ويبقى مع ذلك مجد علال كزعيم
لتحرير الوطن هو نفس المجد الذي حققه بجهاده الطويل
ولكن مفهوم علال للوطن ومفهومه للمواطنين كان يحرك
ضميره لبحث عن الوطن في حدوده الطبيعية والتاريخية
(وحينما نقول التاريخية لا نقصد التاريخ البعيد ولكن
نقصد التاريخ الحديث الذي لا يعدو وقت فرض الحماية)
وليبحث عن المواطنين في كل مكان عاش فيه هؤلاء
المواطنون وضميره الوطني كان يؤكد له ان الصحراء لم

تفصل قط المغرب ، واكنها كانت صلة وصل للمغرب بالقارة
الافريقية وبالمشرق العربى والاسلامى والدور الذى قام
به المغرب فى تاريخه الحافل سواء فى نشر الاسلام بافريقيا
او فى تكوين الدعاة والادول كدولة المرابطين والموحدين او فى
نضال المغرب فى الاندلس للابقاء على الاسلام اربعة قرون
كاملة ، كل ذلك كان دور الصحراء المغربية فى التاريخ
المغربى والافريقى والاندلسى وفى تاريخ الاسلام على
العموم

فكيف تخفى هذه الحقيقة عن فكر الرجل الذى تمثلت
فيه خلاصة جهاد المغرب الوطنى والعلمى ، وعن الرجل
الذى لم يكن يحترف السياسة ، ولكنه كان يعيش الوطنية
بكل ابعادها التاريخية والفكرية والانسانية وكيف ينام ملء
جفنيه فى بلاد مستقل وثلاثة ارباع البلاد اسيرة فى يد
الاستعمار الفرنسى والاسبانى او ممزقة الى اقاليم
ومناطق

هذا الوعى هو الذى دفع علال الفاسى الى ان يشهر
معركة الصحراء ويعد لها قبل انتهاء معركة الاستقلال
السياسى

ورغم ما منيت به قضية الصحراء من تهاون
وانهزامات ، فقد كان الرجل — كما عرفناه دائما — الذى
لا ينفذ الى قلبه اليأس ولذلك ظل يناضل فى كل الجبهات
الرسمية والشعبية مع الصحراويين ومع غير الصحراويين.

ظل يناضل حتى النفس الاخير وما زلت اذكر كيف كان يتصل مع بعض المسؤولين الاسبانيين ، وبعض الذين كانوا مسؤولين ، وكيف سافر عدة مرات الى مدريد واتصل مع رجال الحكومة الاسبانية محاولا أن يصل الى نتيجة ملموسة وكان في الحقيقة ينجح في تقريب وجهات النظر بين الحكومتين المغربية والاسبانية — وهو يقود حزب المعارضة — بما يضمن استرجاع الصحراء ، نظرا للمكانة التي كانت له في قلوب الجميع ومذ سنتين حينما داهمته الازمة القلبية الاولى في مايو 1972 كان على موعد مع بعض المسؤولين الاسبانيين موعد سري حتى عن بعض رجال الحكومة الاسبانية من المتطرفين ضد المغرب وكان سيصحه الاخ محمد بوسته وفتح عينيه بعد يومين من الازمة الحادة ووحوه الاطباء تعلوها مسحة من اليأس القاتل رغم الابتسامة المصطنعة ، فتح عينيه على وجه الاخ بوسته وارتسمت على وجهه السمع ابتسامته العذبة وتمتم بين شفقيه في صوت مسموع ايك أن تنسى موعد 19 مايو لا بد أن تذهب ، ان لم أستطع أنا فكن انت في الموعد المقرر

في الساعات الراهية التي تملأ قلوب الناس فيها الخشية من الموت كان يملأ قلبه العامر حب الصحراء والدفاع عنها وتلك أبلغ درجات الهيام بالوطن والمواطنين، وليس ذلك بغريب على علال ، ذلك الصومى الذى علم

النفس كيف يهيمون في حبهم لوطنهم وكيف يفدون بلادهم
بأغلى ما يكسبون ، حياتهم

ومن توفيق الله ورعايته واستجابة لمطامح هذا القلب،
الكبير انه وفقه وهو يحطو خطواته السريعة نحو لقاء ربه ،
وفقه ليكون آخر نداء سياسى له يتعلق بالصحراء المغربية،
يستحث فيه الدول العربية أن تقوم برسالتها نحو تحرير
هذا الجزء من بلادنا العربية وأصبح نداء الكويت كنداء
القاهرة سرعان ما وجد الاستجابة الكاملة فبدأت دنيا
المغرب بعد نداء القاهرة لتحرير الجزء الاوسط من
بلادنا

ان لنا نحن المواطنين ، ونحن الاستقلاليين من تلاميذ
علال وزملائه في التضال أملا كبيرا في أن تكون نتيجة نداء
الكويت كنتيجة نداء القاهرة . فقد كان علال رائدا لشعب
المغرب في نضاله التحررى والرائد لا يكذب اهله

إذا كان تحرير انصحراء ارتبط باسم علال الفاسى
فليس ذلك بغريب ، فقد ارتبطت كل ميادين العمل التحررى
باسمه سواء هنا في المغرب أو هناك في فلسطين وهذه
منزلة اكرم بها الله هذا الرجل الذى قدم لبلاده ودينه ما
يسمو فوق التقدير

الاستعمار

في أبعداه الكبرى

ارتبطت حياة زعيم التحرير بالنضال ضد الاستعمار وقد عرف الى جانب فكره الواسع وثقافته المتنوعة وعلمه الزاخر بزعامته الوطنية التي لم تكن تعنى الا اعلان الحرب ضد الاستعمار أينما كان وفي أية أرض حل بها فما هو المفهوم الذي كان يعطيه — رحمه الله — للاستعمار

أبسط مظاهر الاستعمار هو الاحتلال الاجنبى لبلد ما والسيطرة على مقدراته الاقتصادية والادارية والفكرية وقد ارتبطت حياة علال بالنضال ضد هذا الاستعمار في مبدئه وفي تفاصيله التي تعنى تصرفات الادارة الفرنسية والاسبانية بالمغرب وكان عمله لمقاومة هذا الاستعمار يتجه في ثلاث اتجاهات اولها المقاومة النظرية والعملية بفضح اعمال الاستعمار صغيرها وكبيرها منذ الاستيلاء على ماء فاس وتحويله لاراضى المعمرين سنة 1926 حتى

مؤامرة عشرى غشت وتلاعب ايكس لبيان سنة 1955
وثانيها توعية المواطنين بواجبهم النضالي ضد الاستعمار
بتسيير اول خلية للحزب حتى تنظيم المؤتمرات والمهرجانات
الخطابية العلنية :**اتى اصطدم فيها الحزب بالقوات**
الاستعمارية وثالثها تنظيم خلايا المقاومة وجيش
التحرير منذ نداء القاهرة عشية عشرى غشت 1953
حتى تنظيم جيش التحرير المغربى الجزائرى الذى بدأ
حرب التحرير فى الاوراس فى فاتح نوفمبر 1954
واتبعها بحرب التحرير فى اكنول وتيزى وزو وبورد فى
فاتح اكتوبر 1955

هذا هو المفهوم الاولى الواضح والمقاومة الاولى
الواضحة للاستعمار ولكن الاستعمار لم يتخذ هذا المفهوم
الواضح البسيط فحسب ، وانما اتخذ مفهوما اعمق هو
السيطرة على العالم وخاصة المواقع الاستراتيجية فيه
التي تمكن من استغلال الثروات الطبيعية والانسانية فى
العالم الثالث لصالح العالم المتصنع المنجهز عسكريا
واقتصاديا المتقدم علما

وكان الرئيس علان يدرك كامل الادراك هذا المفهوم
الخطير للاستعمار قديمه وحديثه ، ويضع تحركات
الاستعمار ضد العالم العربى والاسلامى **ضد العالم**
الثالث وفى مقدمته افريقيا فى هذا الاطار كان يدرك أن
احتلال فلسطين وتركيز الصهيونية التى ليست الا ذبلا

للاستعمار فيها لم يكن الا وسيلة لتمزيق الوطن العربى
والاسلامى وفصل اسيا الاسلامية العربية عن افريقيا
العربية الاسلامية ويستدل على ذلك من اجتماع نظمه
احد رؤساء الحكومات البريطانية مع مجموعة من علماء
التاريخ والجغرافية والاجتماع وحينما طلب اليهم ان
يبحثوا له عن بديل للاستعمار بعد ان تكشف ان مصير
الاستعمار الرسمى الى زوال ، فاشاروا بزرع جسم
غريب فى وسط الشرق العربى ، وكانت الصهيونية العالمية
تتحرك فشجعته انجلترا على التركيز فى فلسطين حتى
تكون هى الجسم الغريب ليفصل الشرق عن الغرب
وشعوب اسيا عن شعوب افريقيا والوطن العربى عن
بعضه والوطن الاسلامى عن اقطاره

ومن هنا كان يعتبر قضية فلسطين اخطر قضية يمكن
ان يواجهها العالم الثالث ولو لم تكن بعض اقطاره عربية
او مسلمة وقد تجلى هذا العمل الاستعمارى فى النفوذ
الذى تسرب الى افريقيا وبعض دول اسيا واوروبا
المسامة عن طريق الخبراء الصهيونيين الذين ليسوا الا
عملاء للاستعمار الجديد وكان تخلص دول افريقيا من
العلاقات مع اسرائيل و المساعدة الاسرائيلية بداية
الخطا لهزيمة هذا الاستعمار

وكان الى جانب ذلك يرى ان الاستعمار الاقتصادى
لا يقل خطرا عن الاستعمار العسكرى، ولهذا يهتم بالتحرك

الاقتصادى لا بتحرير الارض من الممرين فحسب ، ولكن كذلك بتحرير الراسمال من التدخل الاجنبى ، وبتحرير الهياكل الاقتصادية المغربية والعربية والاسلامية من القواعد والاصول والقيم التى خلقها الاقتصاد الراسمالى الذى يعتبر المال كل شئ ، ويجعل الانسان آلة للاستثمار المال لهذا كان يعتبر الضحية الاولى لهذا الاقتصاد الاستعمار هو الانسان المستضعف ، فيجب ان يثور ويتحرر من هذا الاستعمار الجديد القديم

وكان يعتبر الاستعمار الفكرى من اخطر انواع الاستعمار التى تواجهها الشعوب التى ابتليت بالاستعمار الغربى ويتمثل هذا الاستعمار فى سلب الشعوب المستعمرة قيمها اللغوية والفكرية واسس تعليمها وحضارتها كان يومئذ بالاقتراب من الحضارة الحديثة كل الاساليب المتطورة الموصلة ، ولكنه الى جانب ذلك كان يلح على الاصاله الفكرية التى تحتفظ للمواطن بشخصيته ومقوماته ومن ثم كان يخوض معارك التعليم على اساس اللغة القومية والانسية المغربية والحضارة العربية الاسلامية وكان يعتبر استعمال اللغة الاجنبية لغة تلقين فى المواد الاساس فى التعليم من شأنه ان يدفع بالمواطن الى احتقار لغته ، ومتى ما احتقر لغته استطاع بسهولة ان يندمج فى الفكر والاقتصاد للبلاد التى منحتة لغتها كلغة علم وثقافة وادارة

وكان يرى ان الاستعمار يدخل حتى من طريق النزواج
المختلط بين المواطنين في الباطن الذين مرت بينهما علاقات
استعمارية المراه في البيت لها سلطتها الفكرية ولها اثرها
في تربية ابنائها على مثال من مواطنيها ولذلك فهي تكون
مواطنين اجانب ينتمون الى قومها عاطفيا وفكريا ولغويا
ولو عاشوا في وطنهم ومن ثم جاءت حملته الاخيرة على
الزواج بالاجنبيات وبالاجانب لم يكن يهدف بها قضية
عنصرية او قومية بقدر ما كان يهدف تحرير المواطن
من الاستعمار في شكل خطير من اشكاله
هكذا نجد ان حملته ضد الاستعمار لم تكتس قط نوعا
من العداوة للاجانب او ضيقا في افق التعاون ، اكـنـها
تستمد حقيقتها من تحرير المواطن سياسيا وعسكريا
واقصاديا واجتماعيا وفكريا حتى يكون مواطنا حرا — بكر
معنى كلمة الحر — في وطن حر

النتي

مرحلة تحول في الفكر الوطني والسياسي

من الصعب أن يسبر الباحث مراحل التحول الفكرى عند المفكرين الكبار والعظماء الذين تتجاوز اهتماماتهم أنفسهم لتسلك بهم طريق البحث لتغيير اتجاه العالم أو جزء من العالم فالفكر ينمو أحيانا كما ينمو الإنسان دون أن نشعر بنموه ، ويخيل اليك أحيانا أن الفكر النامي خلق ناميا كما قد يخيل اليك أن الرجل خلق رجلا دون أن تلحظ مظاهر التطور والنمو في هذا أو ذاك لهذا يصعب أن يترصد الباحث مرحلة التطور الفكرى أو التحول الجذرى عند مفكر يمتاز بشمولية الفكر واتساع افق الاهتمامات

ولكن في حياة العظماء كثيرا ما تكون وقفات تفرضها الأحداث أحيانا ، لانهم في معظم حياتهم يقفون ضد التيار والا لما امتازوا ، ولما كانوا عظماء أحداث جسام في حياتهم تنتج عن التيار الذى يعاكسون فيقفون أمامها ليتبلور فكرهم عن تخطيط جديد أو اتجاه جديد أو قرار

جديد ، وفي كل ذلك يكمن تحولهم الفكرى
والرئيس علال من بين هؤلاء الرجال الذين كتب
الله عليهم — توفيقا منه وتوجيها — أن يقفوا ضد التيار
فى صلابة وعزم واصرار وكان عليهم أن يقفوا ضد
التيار فى سن مبكرة ولذلك تكاثرت الوقفات التاريخية
التي يحظى منها العظماء بوقفه أو وقفتين ، فكانت فى
حياته وقفات عديدة كل منها يمكن أن يحدث التحول
الفكرى المرتجى ، وكل منها يستطيع أن يبلور فكره
الوطنى والسياسى اعتقل وأبعد ، وعاش حياة البعد فى
سبيل القضية الوطنية التى يعمل من أجلها ، وذاق النصر
والهزيمة فى عمله واتصالاته ، وشهد كل آماله تنهار ، ثم
شهد يقظة كل الآمال ، رأى هزيمة البلاد ورأى
انتصارها ، ورأى تأب كل الظروف ضد الحزب لتهزيمه
عدة مرات ثم رأى انتصار الحزب عدة مرات شهد
الاستقلال وشهد انحراف خط السير فى بناء الاستقلال
وكل هذه وقفات كان يمكن أن يقف عندها الفكر ليتبلور
وليكون المرحلة التحولية فى الفكر

ولكنى أعتقد أن النفى الطويل كان أعظم هذه المراحل
جميعا وأعتقد أنه كان مرحلة تحول كبير فى الفكر الوطنى
والسياسى للرئيس علال

هناك ظروف عديدة جعلت من النفى المرحلة المهمة ، فى
مقدمة هذه الظروف أن النفى كان طويلا ، وكان خارج
المغرب وكان فى إفريقيا ، وثانيها أن النفى كان فى مرحلة

النضج الفكرى فقد نفى الرئيس علال وسنه نحو سبع وعشرين سنة ، وعاد من منفاه وسنه نحو ست وثلاثين سنة وهذه السنوات التسع مرت فى وقت التكوين والنضج وثالثها ان الوقت كان وقت حزب ، والحرب لم تكن شرا كلها ولم تستغرق اهتمام العالم دون التفكير فيما بعد الحرب بل ان عظماء الرجال الذين سيروا الحرب كانوا يفكرون فى الحرب ووسائل النصر ، وكانوا يفكرون بالاضافة الى ذلك فيما بعد الحرب ، وفى طريق بناء عالم ما بعد الحرب ، ولم يكن هذا التفكير مقتصرًا عليهم ، وانما كان يعم الشعوب المغلوبة على امرها وكان يعم بصفة خاصة زعماء الشعوب والذين تأخذ قضايا بلادهم المرتبة الاولى من اهتماماتهم ، واعتقد ان الرئيس علال كان فى مقدمة زعماء العالم الثالث الذين كانوا يكافحون فى سبيل تحرير بلادهم ، وقد كانوا من القلة بحيث ان معظم الذين عرفهم العالم فيما بعد هم وليدو ما بعد الحرب اى ما بعد المعركة الفكرية الكبرى التى خاضها العالم مع حركة الحرب فاذا عددنا زعماء العالم الثالث آنذاك فسوف لا نجد الا أسماء مثل علال وغاندى ومحمد حتى ومحمد على جناح وبورقيبة وهؤلاء عاشوا مع بلادهم ومن اجل بلادهم فى قلب المعركة العالمية التى كانت لهم درسًا عظيمًا ووقفه مهمة لاتخاذ سبيل تحول فكرى خطير ، ومن هذه الظروف المهمة التى جعلت من النفى مرحلة تحول فكرى مهم عند الرئيس علال ان التجربة

الماضية في الكفاح اباتت عن فشل في التفاهم مع المحتلين
ولذلك كان لابد من وقفة على مفترق الطرق بعد ان تأكد
ان كثيرا من الطرق لم توصل الى روما وقفة للتحويل
الفكرى حتى يهتدى الفكر الى الطريق القويم الموصل
الطريق الذى يمكن ان يحقق الهدف الاستقلال والبناء
اعتقد ان اكبر ميزات الرئيس علال انه لم يكن وطنيا
فحسب ، ولم يكن سياسيا فقط ، وانما كان — الى
جانب ذلك او فوق ذلك مفكرا ويمكن ان اقول انه في مقدمة
الساسة المفكرين الذين انجبهم هذا العصر ، ولذلك كان
النفى بحق مرحلة تحول للرجل المفكر ، ولو لم يكن مفكرا
لدخل النفى وخرج منه وطنيا كما كان اصلب عودا
او اطرى ولكن التحول لن يكون عظيما لانه ساعته
سيكون متصرفا بالعاطفة والعاطفة تحتد او تضعف
ولكنها تظل عاطفة ولانه كان مفكرا يخدم الوطنية بالفكر
كان النفى عاملا مهما من عوامل تطوره الفكرى
فما هو هذا التطور

المظهر الاساسى للتطور انه آمن بأن الاستقلال هو
الوسيلة الوحيدة لتحرير المغرب وبنائه ، نفى والفكره
السائدة ان الوقت لم يحن بعد للاستقلال ، واننا لا ينبغي
ان نطلب استقلالا لا نستطيع تحقيقه ولا نستطيع القيام
بأعبائه ولا نستطيع ان نقاوم رد الفعل الفرنسى اذا ما
طلبناه ولكنه وهو الوحيد المبعد المنقطع عن عالم
أصدقائه وعن الشعب الذى يستمد منه الفكر الوطنى

اتجاهه ومطالبه طالب باستقلال المغرب ، وقدم مذكرته من المنفى وحاول ان يقابل دو كول يوم كان رئيسا للجنة تحرير فرنسا ليعرض عليه الفكرة متذرعاً بنفس الافكار والمبادئ التى كان يحملها دو كول لتحرير فرنسا هذا تحول مهم فى الفكر الوطنى والسياسى للرئيس علال

والتحول الثانى فى نظرى ان افقه انفتح على عالم اوسع فبدأ يفكر فى المغرب العربى وفى افريقيا ، ولكن تفكيره فى المغرب العربى كان اقوى ، فقد ادرك من المنفى ان العمل الفردى سزاء فى تحرير اقطارنا او بنائها لا يمكن ان ينتج اذا لم يعاضده العمل الجماعى فى اطار المغرب العربى ادرك ان وحدة الاستعمار فى المغرب العربى وفى افريقيا وفى مختلف انحاء العالم لا يمكن ان تقهر اذا لم تقابلها وحدة الحركات التحررية فى مختلف البلاد التى تعمل للتحرر ومن هنا بدأ فكره المتسع ينتج فكتب كتاب الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى « وعمل مع قادة هذه الحركات فى القاهرة وعمل على الدفع بالحركة الدستورية فى تونس لى تصبح حركة استقلالية ، وساهم فى تكوين جيش التحرير الجزائرى وتنظيم الثورة الجزائرية بنفس الروح الذى عمل بها فى اعلان « نداء القاهرة » وفى تنظيم المقاومة وجيش التحرير المغربى لقد أصبح يعتقد ان الاستعمار لن يهزم الا اذا وسع ميدان المعركة كما انه لم يهزم بلادنا الا حينما وسع هو نفسه ميدان

المعركة وقد كانت النتيجة لصالح هذا الرأي ، فلم يعترف الاستعمار للمغرب ولا لتونس ثم الجزائر بالاستقلال الا حينما ادرك ان الحركة التحررية احاطت به من كل جانب

على ان اكبر تطور فكري حدث بعد النفي هو الفكر البنائي الذي تكون عند الرئيس علال الى جانب فكر المقاومة للاستعمار ، فقد اتسع افق فكره حتى أصبحت قضية الاستقلال مفروغا منها ، أصبحت عنده مسألة وقت ، ولذلك وجب التفكير فيما بعد الاستقلال ووجب التفكير في المغرب على اساس انه جزء من عالم متشابه هو الذي أصبحنا نطلق عليه اليوم العالم الثالث وعلى اساس هذه الشمولية بدأ الرئيس علال يحل مشاكل هذا العالم الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وقليل هم الوطنيون او السياسيون الذين اتسع افقهم كم اتسع افق الرئيس علال وهو يكتب النقد الذاتى فهو ليس بنظرات في تاريخ العالم على غرار ما فعل نهرى ، وليس بتجارب حياتية على غرار ما فعل غاندى وليس بتأملات ذاتية شبه صوفية على غرار ما حاول نكرومة ولكنه دراسة فلسفية اجتماعية واقعية على نحو جديد لم يسبق انيها فكر متحرر ، وقد بدأها من الانا « ممثلة في الانانية ليسير مع تطور الفكر الانساني من المجتمع الى الشمول الى الحرية الى العموم ، وتطور في البحث ليجعل من الفكر وحدة يجب ان تعالج في

مظاهرها وهكذا حل الفكر الدينى والفكر الاسلامى
والفكر الوطنى والفكر المغربى والفكر الادارى والفكر
السياسى والفكر الحزبى والفكر القضائى والفكر
الاقتصادى فى مختلف المحاولات التى قامت بها الاديان
والفلسفات الاقتصادية لحل مشكلة الانسان الاقتصادية
وانتقل من ذلك ليحل الفكر الاجتماعى متخذاً من المجتمع
المغربى مثالا للتجربة تجربة الحلول التى يقترحها
اذا قلت ان العمل الذى قام به الرئيس علال فى
كتاب النقد الذاتى يعتبر اكبر عمل من نوعه قام به
غرد او جماعة فى البلاد التى تفكر فى المشاكل الاساسية
الحية فان اكون مبالغا واذا قلت ان كتاب النقد
الذاتى اعظم كتاب خرج فى العربية من مئات السنين فمن
اكون مبالغا ، لا لان الرئيس علال وفر لهذا الكتاب مجهودا
ضخما من البحث والاستقصاء والمراجعة ، ولكن لان
عبقريته الرئيس علال استطاعت ان تتناول عالما متميزا
— قبل ان يصبح هذا العالم متميزا عند الناس — فى مختلف
مظاهر حياته الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، فتعرض
المشاكل الاساسية فى عمقها لتبحث لها عن حلول عميقة
جذرية ليست حلاولا مرتجلة ولكنها حلول صميمة
نابعة من حقيقة المشكلة لا منقولة من حلول لمشاكل نبعت
فى بلاد اخرى ، ومن ثم كان الرئيس علال يطلع على
الحلول التى يقترحها الآخرون لمشاكلهم المشابهة لمشاكلنا
فيرد منها ما لا يتفق مع صميم مشكلتنا نحن فى العالم

الثالث ، ويقدم الحلول الايجابية لمشكلتنا
وما يزال كتاب النقد الذاتى هدفا لم تصل
اليه الحلول التى اتخذت لمشاكل العالم الثالث لانه كما
قلت يقدم الحلول الجذرية ومن المؤسف ان يضل هذا
العالم — حتى بعد أن استقل — فى اختيار الحلول التى
تتفق ومشاكله الحقيقية

ولعل اروع مظهر لهذا التطور الفكرى يتمثل فى نظرة
الرئيس علال للحرية لقد تشرب معنى الحرية من خلال
جهاده الطويل وتفكيره المتصل ، وخلص من ذلك الى
ان الحرية ليست هذه الحريات الجزئية ، ولكنها تلك
الحرية المطلقة ، تلك الحرية الحرة ، تلك الحرية التى لا
قيود لها ، والتى ليست حرة فقط فى ان تكون والا تكون
ولكنها واجبة ان تكون لان وجوبها من نفسها ، لانها لا
تستطيع الا ان تكون كاملة ، فلو فرضنا ان الحرية قدرت
هى نفسها على الا تكون او على ان تكون ناقصة كان
ذلك باختيارها ، وحينئذ فلن تكون الا الحرية ، ان هذه
الحرية المطلقة الكاملة هى الدرجة العليا فى الحرية ،
هى حرية الله سبحانه وتعالى ، هذه الحرية الخلاقة هى
الحرية المبدعة التى اشأت العالم والتى قالت لهذا الكون
كن فكان ، انها نقطة البداية ، ولن تكون لها نهاية لان نهاية
الحرية فناء كل شىء ان هذه الحرية هى التى يتخلق
بها الانسان الانسان الذى خلق على صورة الله
والانسان فى مجهوده البشرى وفى مجهوده الروحى يسمى

دائما لان يتخلق بخلق الله اى لان يكون حرا ، ولا يمكن ان
تقيد حرية الانسان هذد

هذا هو المبدأ الذى ينطلق منه الرئيس علال للتفكير فى
الحرية ولذلك فالحرية عنده ليست وسيلة يمكن أن
يلجأ الى غيرها من الوسائل اذا كانت تؤدى الى الفاية ،
ولكنها حتمية من حتميات الانسان هى للعالم كالهواء
للانسان ، يندثر العالم بدونها كما يندثر الانسان اذا حبس
عنه هواء ومن هنا كان كفاح الرئيس علال يمتاز
بالتشبث بالحرية حرية الانسان فى جسده وفى تفكيره
وفى عيشه وفى عمله وفى تصرفاته وقد آمن كثير من
المكافحين بالحرية ، ولكنهم سرعان ما ضنحوا بها لانهم
وجدوا وسائل اخرى ظنوها موصلة الى الهدف
فكانوا اول المجهزين على الحرية ، ولكن ايمان الرئيس
الرئيس علال بالحرية ما يزال المنار الذى يهتدى به
فى طريق كفاحه ، واذا رأيتموه يتشبث بالديمقراطية
ويضحى فى سبيلها مثل ما ضحى فى سبيل الاستقلال
فمن ايمانه بالحرية يصدر ، ومن يقينه فى أن الحرية نظام
كونى قد يندثر العالم بدونها فمنها يستمد قوته فى الكفاح
ومنها جاء نفوره من كل ديكتاتورية تفرض على العالم او على
جزء من العالم ، وجاء تقديره للذين ناضلوا فى سبيل
الحرية ولو كانوا خصومه وخصوم بلاده

ان التحول الفكرى الذى أحدثه النفى الطويل جعل
فكر الرئيس يلتقى كمسلم وطنى مع كثير من الاتجاهات
الحديثة ، او هى تلتقى مع فكره على الاصح ، فلفكره
اصول وقواعد او مبادئ لا يحيد عنها ، وهو يخضع

كل تطور فكري أو سياسى أو اقتصادى لهذه المبادئ لان الحرية تجعل من الفكر المتحرر فكرا معتمدا كذلك على مبادئه اما الفكر الذى لا مبادئ له فهو حرى الا ينتسب الى الفكر وفيما عدا هذه المبادئ فتعيش الافكار والبرامج والمذاهب رصيد يمد الفكر بالزاد الدائب والتضييق او التحجير على الفكر هو عكس الحرية التى ينشدها ومن هنا تجده وهو الوطنى المسلم المتحرر ، يلتقى مع الشيوعيين فى كثير من الافكار ، وهو لا يعتبرها شيوعية حديثة لانه يجد اصوله فى الفكر الاقتصادى والاجتماعى الاسلامى ويلتقى مع الاشتراكيين فى كثير من الافكار لان الاشتراكية الاسلامية التى بلورها فى التعددية ميدان متسع لبناء المجتمعات الحديثة المتطورة

هذا الرصيد الفكرى العظيم الذى يطفح به فكر الرئيس علال هو الذى جعل قيادته ناجحة فى المغرب وجعل اسمه يرن دائما فى العالم مقترنا بأفكار ومبادئ بالاضافة الى اقترانه بجهاد وتضحية ونضال ، فحينما يدرس قادة الفكر المعاصر سواء عند الدارسين العرب او عند الدارسين الاوربيين والامريكيين يحتل الرئيس علال فصلا مهما من هذه الدراسات لا كمجاهد وطنى ، ولكن كمفكر لفكره امتياز بين المفكرين ، وقد صدر كتاب ضخيم للكاتب الانجليزى روزنطار عن جامعة اكسفورد الانجليزية كتبه المؤلف عن التيارات المعاصرة ، وكان اكبر

فصل فيه عن الرئيس علال ، ومن المؤسف الا تترجم كل كتب الرئيس الى الفرنسية والانجليزية ويوم تترجم جميعها سيجد الباحثون الاجانب في هذا الفكر المتحرك مادة ضخمة لرصد التطور الهام الذي حدث في الفكر العربى والاسلامى الحديث

من هنا اعتقد ان قيادة الرئيس علال للامة المغربية هى توفيق من الله لان القيادة فى هذا العصر ليست محتاجة فقط الى الرجل المناضل او الذى يعتمد على رصيده نضالى فقط ، ولكنها محتاجة الى الرجل المفكر الذى تلتقى فى فكره التيارات المعاصرة بالقديمة ، والذى يستطيع ان يخرج من خلال التيارات — التى تكون مدمرة فى كثير من الاحيان — بالرأى السديد والتوجيه المستقيم ، والذى يقود فيحسن القيادة والذى تصمد شخصيته امام الاحداث وامام الشخصيات ، والذى يكافح بالرأى لا بالعاطفة ، فبالعاطفة تذوب والرأى يستطيع ان يصمد ، والذى يخوض المعركة بوزن فكرى لا تؤثر فيه الاحداث ولا تعصف به الافكار الطارئة او البراقة او التى تأخذ قيمتها من لغتها وشعاراتها او جدتها

من توفيق الله لهذه الامة ولحزب الاستقلال ان كان على رأس قيادته الرئيس علال وأنا لنعتبر وجوده وأفكاره ضماناً من الزلل وعصمة من الخطأ ووفق الشعب للاستفادة من توجيهاته

الكلمة سرّ الفكرة

كثيرهم الذين عرفوا علال الفاسى عن قرب فاستمعوا
اليه اوناظلوا معه اوناقةشوه وحاوروه اوعرفوا افكاره الوطنية
السياسية والعلمية والاجتماعية والفقهية والقانونية
والاقتصادية واكثر منهم اولئك الذين عرفوا علال الفاسى
عن طريق الكلمة قراوا له شاعرا وكاتبا ، قراوا قصائده
فى الكفاح الوطنى والنضال من اجل الاستقلال ومن اجل
كرامة الانسان وحرية المرأة وحق العامل وتمجيد بطولته
لكفاح فى الارض وتقويم الفكر وسيادة الحرية وقراوا له
كاتبا يعالج مشاكل الانسان فى الوطن ويضع التخطيط لتوجيه
التفكير فى الاقتصاد والمجتمع والتعليم والدين والقانون
والادارة ، وقراوا له يعبر عن ضمير الشعب فى التعرف على
ارض الوطن وعلى الانسان فى الوطن وعلى عروبة المواطن
واسلامه ونضاله وقراوا له يوجه الحكم بضمير الوطنى فى
طريقة اصلاح البلاد وينبه الى مكامن الخطر كما اخطأت

حكومة أو وزارة أو إدارة ، وقراءوا له يناضل في سبيل الديمقراطية واستعادة الشعب لسيادته في الحكم والممارسة. قراءوا له يوما بيوم حينما يصدر له الكتاب أو الدراسة أو المقالة أو البحث، وحينما يحاضر أو يخطب أو يملئ تصريحاً وحديثاً ولهذا عاش القراء مع علل يعرفون إنكاره ويناقشونها ، يقتنعون بها أو يجادلون ، ولكنه عاش معهم في كل نضاله الفكري والعملية بحيث لا يقتنع بفكرة إلا كتبها في الإطار الذي يجب أن تكتب فيه كتاباً أو مقالة أو قصيدة أو محاضرة أو خطبة أو خاطرة ، وكلما سجل ما يفكر فيه يشعر بأنه لم يعد ملكاً له ، وإنما هو ملك للمواطنين أو للقراء جميعهم فكان يشعر عن وعى بأن الكلمة هي رسالة فكره إلى مواطنيه ، والعرب والمسلمون جميعهم مواطنون له وهكذا كان علل أنفاسي لا يعتبر الكلمة سلاحاً فحسب، ولكنه يعتبرها رسالة للجميع وسير الفكر الذي يؤمن به — ويناضل في سبيله

من أجل نضال الكلمة في حياة علل اعتبر الكثيرون من الذين كتبوا عنه بعد وفاته أن أفكاره لم تمت لأنه كان حريصاً على أن يضمن لها البقاء أن لم نقل الخلود لنتصور الجانب الآخر من الموضوع ، ليكن هو علل زعيم وطني مناضل عاش لبلاده يقاوم الاستعمار ويسعى لتصحيح الأوضاع يقود حزباً يشارك في الحكم أو يعارض ، مر بحياة السجن والنفي والبعد ، وله آرائه في

السياسة والاقتصاد والاجتماع مارس النضال في سبيل تحقيقها
عن طريق الاتصال او انبرلمان ، ثم مات وليس في آثاره كلمة
تقرا

هل سيكون علال هذا الذى تصورنا هو علال الذى انتجه
الواقع كاتباً ، ناضلاً بالكلمة ، مسجلاً أفكاره يعرفها للمناقشة
والبحث والاقتناع او الرفض ؟

انجب العالم كثيراً من الزعماء ناضلوا في سبيل بلادهم
فاعترف لهم العصر بنضالهم وقادهم النضال الى النصر او
الهزيمة ، ولكنهم كانوا من النوع الثانى يفاضون ولا يكتبون ،
يفكرون ولا يسجلون ، ولذلك كان اثرهم فى الحياة مرهوناً
بحياتهم ونضالهم محدوداً فى البيئة الضيقة التى عملوا فيها

لن نذهب بعيداً لنبحث عن نماذج من هؤلاء الزعماء فى
التاريخ او فى عالم آخر غير عالمنا العربى والاسلامى
ولو ان الموضوع جدير بهذا البحث ولكننا نقط نشير الى
محمد على جناح واقبال وطاغور وغاندى ونهرو لا اشك
فى ان الكثيرين سيذكرون جناح باعتباره مؤسس
باكستان ولكن فلسفة على جناح فى خلق باكستان
لا اعرف انها سجلت الا من خلال الذين كتبوا عنه
فى الوقت الذى يعرف الكثيرون ولا جيل قادمة طويلة اقبال
وطاغور وغاندى ونهرو ولناخذ مثلاً آخر من زعماء النضال
الوطنى فى ستوريا القوتلى ، سعد الله الجابرى مثلاً ماذا
يعرف الناس عن نضالهم او عن فلسفتهم النضالية او عن

عطائهم للثورة السورية سعد زغلول نفسه كان فى العشرينات المع اسم فى عالم النضال من أجل التحرر الوطنى ومصطفى النحاس كان المع اسم فى مصر طوال الثلاثينات والاربعينات ولكن حين اليوم حتى فى مصر لا يكاد يعرف شيك عن نضاله وأفكاره الا ملامح عارضة قد تكون بعض ما يوجد فى كتب التاريخ او كتب السير «مثلا كتاب العقاد عن سعد» سجلتها دون أن تأخذ عمقها من الكلمة التى يكتبها المناضل نفسه نتيجة تفكير وعمل ، السنوسيون أو عمر المختار فى ليبيا ، والمهدى فى السودان والثعالبى فى تونس ومخالسى الحاج فى الجزائر ، كما هم تركوا فراغا هائلا خلفهم لم يستطع حتى رجال التاريخ وكتاب السير أن يملأوا جزء منه ما من شك فى أن بعضهم على الأقل كانت عندهم أفكار وآراء سياسية واقتصادية وفلسفية تتصل بفلسفة المجتمع الذى عملوا فيه ، ان لم تكن نابغة عن ملاحظة علم وتفكير وعن قراءة واطلاع ، فقد تكون نابغة عن ذاتية وعن ممارسة النضال ولكنهم تركوا هذه الأفكار والاراء والملاحظات النابعة عن التجربة ، تركوا كل ذلك يموت بموتهم لانهم لم ينتفعوا من الدور الذى تقوم به الكلمة فى تخليد الفكرة وفى ابلاغ الرسالة للأجيال التى تأتى من بعد ولعل ظاهرة ابعاد الكلمة عن ميدان النضال تلتصق بعالم المتخلفين فلا يكاد يوجد زعيم أو قائد سياسى أو عسكرى فى أوروبا أو أمريكا تحرك فى ميدان السياسة أو

الجندية الاترك افكاره مسجلة في كتب تحليلية أو مذهبية وان لم يكن ذلك ففى مذكرات تجمع بين التاريخ والفكر والتجربة بل ان نضال اغلب هؤلاء بدا بالكلمة ، لان نضالهم يخاطب الفكر والعقول المتحركة اكثر مما يخاطب الذين يطعمون ولا يقرأون ، ولان رسالتهم تتعدى عصرهم فيما يحسدون ، اكثر مما تتوقف عند حاضريهم واذلك يستعملون الكلمة فيكتبون لتنمية الافكار وانماثها ، ولا يصال الافكار للآخرين فيخلقون بذلك حوارا فكريا بين الذين يقبلون ويرفضون وليتركوا نتاج فكرهم لمن يأتى بعدهم فيستفيدون ويستثمرون هذه الظاهرة تأتى من خطأ اساسى عند الذن يتوهمون ان الكتابة عمل ادبى وربما انهم ليسوا من رجال الادب اذ هم من رجال السياسة أو الجندية فليسوا مطالبين بأن يخطوا بأقلامهم على اوراقهم ما فيه يفكرون

ولكن هذا الخطأ عارض رغم انه اساسى اغلب الظن ان الذين ينفقون يملكون ما ينفقون والكتابة انفاق فيما احسب والذين لا يكتبون لعلمهم لا يملكون ما ينفقون والقادة الذين ملأوا الدنيا واسمعوا صوتهم عاشوا للقضية او القضايا التى مارسوها يفكرون فيها ليلهم ونهارهم يقرأون لها ليلهم ونهارهم ، **يحاورون ويناقشون ، وبذلك** يملأون دنياهم بالافكار والاراء والتحليلات والتجارب وسرعان ما يحسون بانهم مطالبون بأن ينقلوا ذلك للآخرين. لان رسالتهم تتعدى ذاتهم ، ولان نضالهم تطبعه **الفيرية**،

ولا يكفيهم أن يفكروا بالآخرين ، بل من واجبهم أن ينقلوا
تفكيرهم هذا للآخرين

من حسن حظنا — بل من حسن حظ هذا الجيل في
العالم العربي والإسلامي — أن شعر الزعيم الراحل
علال الفاسي بهذه الغيرية ، فكانت الكتابة جزء من نضاله،
ولا تسير فقط في ظل نضاله فهو يكتب ليضع
التخطيط ولينقد الواقع وليوجه شعبه والشعوب
العربية والإسلامية ، أكثر مما يكتب ليسجل
نضاله أو أفكاره ومن ثمة أخذت كتبه ومحاضراته
وخطبه بل وتقاريره في مؤتمرات الحزب واجتماعاته
الطابع الإيجابي الكامل لنضال الكلمة الكلمة التي تحمل
الرسالة والفكرة والتي تنير الطريق أمام الذين يناضلون
والذين سيناضلون

ولا أكاد أجد زعيما شغل نفسه بالنضال العملي
الذي شغل به الرئيس علال نفسه ، ولا زعيما قضى
ازهر فترات عمره وأقوى مراحل شبابه ورجولته في المنفى
السحيق وفي التشرد وفي البعد عن بلاده والتنقل من أرض
إلى أرض ، ثم تمكن مع كل ذلك من كتابة كل ما كتب علال
في مختلف مناحي المعرفة ، حتى في أبعادها — في نظر
الذين لا يدركون شمولية تفكيره النضالي — عن مجال
النضال كمقاصد الشريعة ودفاع عن الشريعة
لسبب واحد أعيد هذه الظاهرة في علال الفاسي هو :

ايمانه بالفكر واعتقاده في أن الكلمة وسيلة نضال ، بل هي
سبيل الاتصال بين ما يفكر فيه وما يعمل به وبين أجيال
الحاضر وأجيال المستقبل

إختيار

ان تختار

تلك هى الحفة المميزة للانسان

وقد حاول كثيرون ان يعرفوا الانسان ، وكان الانسـ
أصبح «شيئا» مجهولا «ينبغى» تعريفه ، رغم أنه يحل حتى
فى المعرف والمعرف له المهم أنهم خرجوا به عن انسانيته
ليقدمون الينا فى تعريف «جماع مانع» حتى تستطيع أن تعرفه
وبذلك لم ينزلوا فقط بالانسان الى درجة «الشيء» ، ولكنهم
نزلوا بنا الى درجة من الجهل بالانسان ، بأنفسنا ، فاخترعوا
هذه التعاريف التى تقول مثلا الانسان حيوان ناطق ، الانسان
حيوان مفكر ، الانسان حيوان متكلم الخ

والمعروفون لم ينسوا كلمة «حيوان» فاتفقوا علينا — ونحمد
الله على أنهم لم يخرجونا من الحيوانية — ثم اختلفوا فى الباقي.
ولست أدري ماذا اغرائنى بأن أبدأ — وأنا أفكر فى
هذا الموضوع — بالسير على منوالهم فعزمت على
ان «أعرف» الانسان بأنه «حيوان مختار» يختار طريقه.
ويختار حريته ، يختار الذى يتعامل معه صديقا أو متاجرا ،

يختار من يعيش معه زوجا أو زوجة ، يختار النظام الذى يحكمه ، ويختار اكله وملبسه، يختار ما يقرأ وما يكتب ، ويختار البلاد الذى يعيش فيه والامة التى ينتمى اليها ، والدين الذى يعتنقه

ومن سلسلة هذه الاختيارات تبدأ مشكلته فهو يعبره، انه يختار لانه لا يريد احدا أن يفرض عليه اختياره ، ومن هنا يبدأ الاصطدام بين ما يعرف فى نفسه من هذا الاختيار وما يراه ، أى ما يحد من اختياره، يبدأ الاصطدام بين الحرية التى يختارها والقيد الذى يفرض عليه ، بين الزوجة أو الزوج الذى يريد لها أو تريده وشريك الحياة الذى يفرض عليه بين النظام الذى يختاره والنظام الذى يفرض عليه وفى هذا الاصطدام يقضى الانسان فترة طويلة من حياته مصارعا مناظلا مجاهدا لالشيء الا ليؤكد أنه مختار ويرغب فى أن يظل متشبثا باختياره

اختر أن يموت واقفا وهو يلعن الكسل والاستنامة والتشبث بالحياة البليدة .

لن أموت قبل أن أموت

هذا اختيار ليس من السهل أن يخرج به الانسان المختار كنتيجة لحياة حافلة بالحركة والنشاط والعمل. ولكن الذى يعود نفسه على أن تنزل مستيقظة حتى فى فترة المنام لا يمكن الا أن يختار الحياة العاملة النشيطة حتى آخر لحظة منها.

ولتكن هذه اللحظة في بوخاريسـت وفي الصين لايهم

ولست أبالي حين أقتل مسلما

على أى جنب كان فى الله مصرعى

كان يحب الحياة ويطمع فى أن يطول عمره حتى الثمانين
وكثيرون يحبون الحياة ولكنهم يفظون أن يستريحوا من
اعبائها فى الستين ، ليعيشوا مابقى منها وهم يتفرجون كما
لوكانت شريطا «سينمائيا» يمر أمامهم فى ظلام ، لاطلة بينهم
وبين مايمر أمامهم الا طلة المشاهد المحايد ولكنه كان يطمع
فى الثمانين ليعيش منها ألفا أو تزيد

اختار أن يعيش هذه الحياة بالعرض لبالطول . يفكر فى
ساعة ما يفكر فيه الآخرون الشهور ذوى العدد ، ويعمل فى
اليوم ما يقتضى من الآخريـن السنوات لم يبلغ منه العمر
عتيا ، ومع ذلك كان يعرف أن أجله قد قرب فقد هاجمه
المرض وأصاب منه القلب . ومع ذلك كان يقدر رسالته التى
يتحملها عن اضطلاع بالمسؤولية وإصرار للقيام بها ولو كان
فى ذلك حتفه

هل كان يستهين بالخطر الذى يتهدهـه لأنه يوم بالقضاء والقدر؟
قد يكون

ولكنه قبل ذلك وبعد ذلك سبق له أن اختار طريق العمل
حتى الموت

يتنقل وهو يتحدى المرض والارهاق ويتحدى مع المرض
الاطباء الذين اكتشفوا فيه الإنسان — وربما الاول من نوعه

الذى يتحدى اخطر مرض فى سبيل القيام برسالتة —
يحاضر ويعلم ويسامر ويبحث ويكتب ويقول الشعرويجتمع
ويناقش ويدافع عن الراى ويناضل فى سبيل العقيدة وهـ
يتحدى المرض والطاقة البشرية لان ذلك جزء من رسالتة،
وهو يريد أن يقوم بهذه الرسالة قبل أن يدركه الموت
يسافر آلاف الاميال ليبلغ رسالتة ، ولو تعلققت بسيبويه
فمن خلال سيوبيه كان هناك شىء اسمه المغرب ، وهـ
يريد لهذا المغرب أن يكون حاضرا فى شخصه ، وهو يعرف،
دون تواضع انه حينما يظهر فى شخصه سيكون على القدر
الذى يريده له وعلى انصورة التى يحب أن يكون عليها
وتطير به ابطائرة وتخط بين باريس وطهران وشيراز وابو
ظبى والكويت وبوخاريسـت. قلبسليمصحيح لن يتحمل هذا
الضغط القوى فى أيام معدودات ، ولكنه يستحث السيرليقوم
برسالتة المغربية العربية الصحراوية الانسانية لسمع صوته
اينما حل واينما ارتحل: ليطلع ذات البين بين فارس والبلاد
العربية ، ليطلب الى الامارات العربية أن يتحدوا فى دولة
واحدة حتى يتجنبوا خطر التمزق ، ليعلن نداء الكويت ميفجر
قضية الصحراء المغتصبة فى جانبها الوطنى والعربى ، ليعلن
لرئيس رومانيا عن رايه الوطنى فى قضايا المغرب ، ليعلن
له عن العدل الانسانى فى قضية فلسطين ، ولتكون كلمة تحرير
فلسطين آخر كلمة ينطقها «الوالد» الذى اعبرته المقاومة
الفلسطينية والادالمقاومة ولانه كان يعلم كل شىء عنها—

وباستشارة منه ولدت من جديد ، الكلمة الاخيرة في حياته
كانت تحرير فلسطين ثم يقوم وهو متشبث بالحياة يطمع
في ان تسعفه نسمة هواء ، يقوم ليسلم الروح بعيدا عن
الجدران والكرسى الوثير رافعا عينه الى السماء فقد
عاش دائما وعيناه معلقتان بالسماء

هكذا اختار نوع الحياة التى عاشها

وهكذا اختار نوع الموت الذى تجرعه .

وهكذا اختار البند الذى أسلم فيه الروح
بذلك لم يعط المثل للذين اختاروا نوع الحياة ونوع
المات ، ولكنه كذلك اعطى المثل للذين اختاروا اشرف حياة
واقدس حياة حياة العمل والنضال الى النهاية لم ينهزم
ولم يستسلم ، ولم يطلب الحياة مجرد «حياة» ، ولكنه كان
يختار . وسواء لديه اختار نوع الحياة ومكانها أم اختار
نوع المات ومكانها فقد كان يرحمه الله مغرما بالحرية
حتى في نوع حياته ونوع مماته

وقد تمتع بهذه الحرية حتى آخر نفس

انه علل الفاسى

عاش ومات من أجل أمته

حم قضاء الله واختار الى جواره الرجل الذى
ملأ الدنيا بجهاده ونضاله وتضحيته واستنارة فكره
علال الفاسى عاش مع المسلمين والعرب سنوات
جهاده التى تربي على الخمسين ولم يكن يرحمه الله يعرف
للحياة طعما الا طعم الجهاد والنضال والتضحية مع
المواطنين ومن أجلهم وقد اختار طريقه وهو تلميذ لم
يتعد الخامسة عشرة فكان طريقا واضحا تبلور بعد ذلك
— وهو يخوض المعركة — فى الكفاح من أجل المسلمين
والعرب والمواطنين المغاربة
وقد صدق الوطن جهاد ابنه البار ، فكانت أفكاره
وعمله نبراسا للمواطنين جميعهم التفوا حوله ، وخاضوا
المعركة معه ، فكان بهم ومن أجلهم ومن روحهم استمد كل
ما امتاز به من ايمان ببلاده وعقيدته ، وصبر واستمرار فى
الجهاد ، وايمان بالنصر

أمن بالاستقلال لأن إيمانه بالله كان يمدّه بالثقة في
مواطنيه ، وكانت تضديته من أجل الاستقلال ووحدة البلاد
واسترجاع أراضيها المغتصبة مستمدة من ثقته في الله الذي
لا يخلف وعده

وجاهد في سبيل المسلمين بقدر ما جاهد في سبيل
مواطنيه وكان يؤمن بأن المغرب لا يمكن أن يسترد مكانته
ويبلغ منزلته إلا في ظل العقيدة الإسلامية ، وفي وسط العالم
الإسلامي ولذلك لم يكن يترك أية فرصة تمر دون أن
يعمل من أجل وحدة المسلمين . وقد دأبه المرض ، ومج
ذلك طار منذ ثلاثة شهور إلى مكة المكرمة لينير الطريق
إمام الرابطة الإسلامية للعمل من أجل وحدة المسلمين
وأسلم روحه الطاهرة وهو في رحلة ابتداها بزيارة ليواصل
رسالته التي بدأها منذ سنوات حتى يزيل كثيرا من
النشوائب بين المسلمين وليوحد بينهم

وانتقل إلى أبي ظبي والكويت ليؤدي الجزء الثاني
من رسالته التي اضطلع بها ، وهي التأكيد للعرب أن
هناك جزء من بلادهم هو الصحراء المغربية ما يزال مغتصبا ،
وان عليهم أن يضطلعوا بهذه المهمة كما يضطلع بها المغرب
ولذلك كان آخر نداء وجهه قبل أن يسلم روحه ببضعة أيام
هو دعوة العرب للاهتمام بالصحراء كما يهتمون بفلسطين
لقد كافح من أجل الصحراء لأن وحدة المغرب لم تكن تقل
عنده عن الاستقلال لم يستسلم ولم يلق السلاح في سبيل

الوحدة ، بل ظل يعتبر الاستقلال ناقصا ، ولن يتم الا
بعودة الحدود ووحدة الوطن

واسلم الروح وهو ينضل في سبيل هدفه الثالث
فلسطين كان الهدف من رحلته الى رومانيا التي دعى اليها
هى ان يوضح وجهة النظر العربية للمسؤولين الرومانيين في
قضية فلسطين كان يحمل هم فلسطين اكثر مما يحمل هم
المغرب لانه يعتبر احتلال فلسطين بداية المخطط الاستعماري
للقضاء على بلاد العروبة والاسلام

هكذا كان يعرف الوطنية واضحة شاملة متكاملة وفي
هذا الخط الواضح سار جهاده ونضاله وبهذه العقيدة
المتكاملة المتفردة استطاع ان يتزعم الفكر الوطنى ، ويقود
المعركة بقلب المؤمن وعقيدة الزعيم وداب المجاهد
افتقدناه ولكن افكاره وآراءه وحياته وعقيدته ستظل
تسير لنا الطريق لنسير معا — نحن المواطنين — حتى
نستكمل الرسالة الكرى التي عاش من اجلها ومات من
اجلها

وسيظل اسم علال كمحرر للامة ورائد للوطنية خالدا
في ضمير امته لانه عاش من اجلها ومات من اجلها

وفاء

((وفاء))

من الكلمات التي كان يرددها كثيرا وهو يتحدث عن
الوطن عن الشعب عن المواطن ، عن الراى ، عن
الصديق عن العمل

يكاد يلخص منهجه في الوفاء لكل عقيدة او فكرة
عمل يقوم به ، ويا اكثر ما كان يقوم به من عمل وتفكير ،
ويا اكثر ما كان يصاحب من زملاء في النضال ومن رجال
ومفكرين وعظماء في التاريخ فكان يفي لهم بكل ما رزق
من روح كبير وصدر رحب وقلب واسع البعد

حياته لم يلخصها في المكتبة والكتاب والقلم ، وقد
كان حريا بعمله وذكائه وتفكيره وسعة أفق الموضوعات
التي شغل بها حياته كان حريا بكل ذلك ان يحشره في
مكتبة بين الورق والقلم ولكنه كان يحب النور يراه في
وجوه المواطنين لذلك بدا حياته النضالية مع الفلاحين
والصانعين والعمال والطلبة والتجار الصغار ورجل
الشارع كان يجتمع بهؤلاء جميعا فيوجههم ويرتفع

بنفوسهم ليكونوا مواطنين يحبون بلادهم ويدافعون عنها
ويعملون ليحلوا المواطنة مكان القبلية والوطن مكان المدينة
والقرية والمواطن مكان الفرد والطبقة المناضلة مكان
الصنعة أو المهنة والاسلام الصحيح مكان الخرافة وكان
يأخذ منهم الدرس حتى تكونت لديه من هؤلاء المواطنين
مجموعة مصادر منها استقى مذهبـه في الوطنية ، ومنها
أخذ رايه في التعادلية الاجتماعية والاقتصادية ، ومنها
اهتدى الى الطريق لبناء هذا الوطن فكتب دستور البناء في
أعظم كتاب مذهبى كتب في العربية النقد الذاتى

وكان — على عهد الاستعمار — لا يعرف من ارض
المغرب الا المنطقة الضيقة التى كان يسمح لمواطن ثورى
مثله ان يتجول فيها ولكنه وفى للصحراء وتخوم الصحراء
مثل م وفى للجبل والسهل والقرية والمدينة واذا كان
هناك شىء سيظل دائما بتاريخ هذا الرجل العظيم فهـ
توعية المواطنين بالصحراء جهاده من أجل الصحراء خلق
المغرب من جديد فى حدوده الحقة وفى أبعاده الصحراوية
وفى رجاله الصحراويين الذين صنعوا جزء من تاريخه
بدأ وحده ينادى بالصحراء فى وقت أخذت نشوة الاستقلال
بتلابيب كل المناضلين فكان منهم من يقول ليتنا نستطيع
ان نسير هذا الجزء الذى استقل وكان علال وحده
يقول لا مغرب بدون صحراء لا استقلال بدون الاجزاء
المغتصبة ..

هذا الوفاء لكل عقيدة ولكل ما فكر فيه وما عمل له
ولكل من عرفهم من رجال وعمل معهم ، ولكل من علمهم
ووجههم ، ولكل من اتصل بهم وتحدث اليهم ، ، ولكل من
استفاد منهم او افادهم ، ولكل ذرة من ارض الوطن ،
ولكل حبة من رمل الوطن ، هذا الوفاء هو الذى برز مرة
اخرى ، والناعى ينمى علال ، فبكاه كل من عرفه من
اندونيسيا حتى المغرب ، فى كل ارض تردد فيها اسم
علال مناضلا او محاضرا او متحدثا او صديقا وفاء
الشعب للزعيم الذى قدم حياته للشعب هو الذى جعل
المواطنين يكونونه بدمائهم ويهتفون من اعماقهم : على
نهجك سائرون وفاء العامل والفلاح والصانع
والطالب والسياسى والمثقف هو الذى جعل هؤلاء وغير
هؤلاء يذكرون علال كمعلم اول للوطنية المغربية ، وكمربى
اول للرجولة والبطولة والتضحية ، وكراىد اول للنضال
الوطنى وفاء العاملين فى الحقل العربى والاسلامى وفى
حقل المغرب العربى هو الذى جعلهم يقفون خاشعين
يقدرون الرزء العظيم الذى اصاب الوطن العربى والاسلامى
بفقد مفكر كبير كان عقله وقلبه وذكاءه جميعا يسمع العالم
العربى والاسلامى علما وتوجيها وعملا
كان وفيا ، وكان وفاؤه يشع مع مبادئه وافكاره
وعمله ونضاله ، ولذلك لم يكذب ينعاها الناعى حتى برز هذا
الوفاء — وقد اعجزه الموت عن ان يقدمه مرة اخرى — عند
الذين قدم حياته من اجلهم بوفائه الكبير .

علاّل

في سَطّور

- من عائلة عربية هاجرت من الاندلس تحت اسم
آل الجد وسكنت فاس فعرفت بعائلة الفاسى أو
الفاسى الفهرى
- عرفت العائلة انفاسية بمساهمتها في ميادين المعرفة
فكان منها علماء ومؤلفون وقضاة كثيرون
- والده هو السيد عبد الواحد ، وقد اشتغل
بالتدريس في القرويين وكان قاضيا ومفتيا لعدة سنوات
وموظفا بالمجلس العلمى بكلية القرويين وتوفى حينما كان
علاّل الفاسى في المنفى سنة 1941
- ولد علاّل الفاسى سنة 1910 بفاس ودرس في الكتاب
القرآن ثم في المدرسة العربية الحرة الاولى في فاس العلوم
العربية واستمر في دراسته في القرويين حتى أحرز على
شهادة العالمية سنة 1932
- بدأ حياته العلمية بالتدريس قبل الحصول على
العالمية كأستاذ في المدرسة الناصرية التى كان من منشئها

ثم في القرويين بعد ذلك

— بدأ نضاله السياسى وهو تلميذ صغير فكان رئيس

أول جمعية سرية ساسية كونها طلبة القرويين

— ظهر نبوغه في الشعر والخطابة ولذلك اختاره

الطلبة رئيسا لجمعيتهم السرية

— أخذ نضاله الوطنى في بداية عمله عدة جهات

— كان يناضل ضد تصرفات الادارة وتزعم المطالبة

بالاصلاحات البلدية امام المجلس البلدى لمدينة فاس

— كان يناضل لاصلاح التعليم عموما والتعليم في

القرويين على الخصوص

— كان يفضل ضد الشعوذة والطرق والاعتقادات

المنحرفة

— اعتقل لأول مرة في صيف سنة 1930 عندما قام

المواطنون جميعهم ضد الظهير البربرى الذى كان يحاول

ان يفصل العرب عن البربر في المغرب من الناحية الدينية

والقضائية والادارية ، وأفرج عنه بعد نحو شهر من

السجن ، ثم اعتقل مرة أخرى ونفى الى قرية بالاطلس

المتوسط

— بعد المنفى عاد الى تسيير الحركة السياسية

الوطنية التى انتشرت في المغرب بأستره وعرفا آنذاك على

الصعيد الوطنى كأبرز شخصيات الحركة الوطنية

— بدأ يلقي دروسا ليلية في جمع القرويين وكان

يجتمع حوله آلاف المواطنين ، وكان يتخذ في دروسه من تاريخ الاسلام موضوعا للتربية الوطنية والسياسية
— ضاقت الادارة بدروسه وحاولت منعه من القاها عن طريق مجلس القرويين ، ولكنها لم تنجح رغم أنها كانت تكلف من يسجل دروسه لتحصى عليه المخالفات السياسية او الدينية حتى تدينه بها

— حاولت الادارة اعتقاله سنة 1933 وهو عائد من طنجة ولكنه علم بذلك قبل أن يصل الى الحدود التي كانت تفصل المنطقتين فلم يدخل للمنطقة المشمولة بالحماية الفرنسية وسافر الى اسبانيا وفرنسا وسويسرا حيث اتصل بكثير من المناضلين العرب والمسلمين وفي مقدمتهم الامير شكيب أرسلان

— عاد الى المغرب في أوائل سنة 1934 وعرضت عليه الادارة الفرنسية منصب وزير العدل في الحكومة المغربية فرفض ، وشرح وجهة الحركة الوطنية للادارة الفرنسية وعاد الى دروسه الليلية لجماهير المواطنين في القرويين ولتلاميذه بالنهار في القرويين واشتد اقبال المواطنين على دروسه بعد أن عرفوا أنه استهدف للاعتقال ، وكان غيابه بمثابة منفى

— منع أخيرا من التدريس فكان يدرس لتلاميذه في منزله

— كان من بين أعضاء الوفد الذي قدم دفتر « مطالب

الشعب المغربي لجلالة الملك ولإدارة الفرنسية سنة 1934 وتسمت الحركة الوطنية آنذاك بكتلة العمل الوطني

— نظمت الكتلة نفسها ونظمت الخلايا وأخذت تلح في تحقيق المطالب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي قدمتها

— في سنة 1936 أخذت الكتلة تعقد مؤتمرات وتجمعات شعبية لشرح المطالب ولفضح أعمال الإدارة الفرنسية وللإتصال بالشعب بشكل علني

— حاصرت السلطة الفرنسية بالشرطة والجيش الاجتماع الذي كان منظما لهذه الغاية في الدار البيضاء واعتقلت منظمي الاجتماع وفي مقدمتهم علال الفاسي ، ووقعت مظاهرات في مختلف أنحاء المغرب احتجاجا على اعتقال قادة الكتلة واعتبر علال الفاسي مسؤولا عنها . واعتقل اثر المظاهرات مئات الوطنيين في مختلف المدن — أفرج عنه بعد شهر نظرا لان حكومة فرنسا الشعبية آنذاك أشفقت من أن تقع على عهدها اضطرابات في المغرب

— نظمت الكتلة نفسها وانتخبته رئيسا وأصدرت صحفا لها كما نمن كتابها الاوائل

— منعت كتلة العمل الوطني في نفس السنة ، فانشىء بدلها « الحزب الوطني » تحت رئاسته

— فى نوفمبر 1937 اعتقل من جديد ونفى الى الغابون
فى افريقيا الاستوائية ، وظل منفيًا تسع سنوات حتى
صيف سنة 1946

— فى الغابون تقدم لحكومة فرنسا الحرة تحت
رئاسة الجنرال دوكل بطلب اعلان استقلال المغرب
— عاد الى المغرب وبدأ نشاطه كزعيم لحزب
الاستقلال وهو الاسم الجديد الذى اعطى للحزب الوطنى
بعد أن منعه الادارة الفرنسية عندما اعتقلت علال الفاسى
وبقية زعمائه سنة 1937

— سافر الى فرنسا ثم الشرق العربى للاتصال
بالدول العربية والاسلامية وبجامعة الدول العربية
— عاد فى اواخر سنة 1948 واستقر بطنجة ، ومن
هناك كان يوجه حزب الاستقلال ويكتب فى صحفه ومجلاته.
وفى هذه الفترة ألف كتابه العظيم «النقد الذاتى»

— انتقل الى مصر والشرق العربى قبل نفي جلاله
الملك محمد الخامس ليشرح المؤامرات التى كان يديرها
المرشال جوان الذى كان مقيم عاما بالمغرب ثم الجنرال
كيوم

— عندما اعتقل محمد الخامس أعلن فى «نداء القاهرة»
الفضال المسلح ضد الادارة الفرنسية بالمغرب
— قام بجولة فى دول آسيا وافريقيا والولايات المتحدة
وامريكا اللاتينية لشرح وجهة نظر المغرب وعـدوان

الاستعمار الفرنسى على المغرب

— نظم جيش التحرير وكن يشرف على تزويده
والمقاومة الداخلية بالسلاح

— كان من الدعاة لعقد مؤتمر للدول المناهضة
للاستعمار فانعقد مؤتمر باندونغ وحضره على رأس وفد
مغربى ، وكان له تأثير فى توجيه مقرراته .

— لم يعد الى المغرب الا بعد اعلان الاستقلال وعودة
محمد الخامس وكان يعارض اجتماعات «اكس ليان
لان الادارة الفرنسية استشارت فيها مع جماعة من الخونة
كالكلوى والكتانى كم عارض اتفاقية الاستقلال التى لم
يعترف فيها بحدود المغرب الحقة وتمتد حتى حدود
موريطانيا الجنوبية والصحراء التى قدمت للجزائر (وقد
قام باصدار صحيفة صحراء المغرب التى تعتبر ذخيرة
فى هذا الموضوع) واكن معارضته كانت مبدئية لا سياسية
فقد قاد حزب الاستقلال كما كن يقوده قبل الاستقلال

— تعرض الحزب لازمة خطيرة حينما انفصل عنه
بعض أعضائه على اثر أزمة حكومية وكان الحكم بعدها
من نصيب المنشقين ، ولكن شخصية علال الفاسى وصموده
حفظت للحزب مكانته وشعبيته وأعضاءه وخرج من الأزمة
منتصرا رغم ما عرف من اضطهاد وعنف

— أسس محمد الخامس المجلس التأسيسى لوضع
الدستور سنة 1960 وانتخب علال الفاسى رئيسا لهذا

المجلس ولكن المجلس لم ينجح لاسباب سياسية
— عرضت على علال الفاسي وزارة الدولة بعد وفاة
محمد الخامس فقبلها ليعمل على تحقيق دستور للبلاد ،
وقد نجح في المهمة واشترط لقبول الوزارة وضع
قانون اساسي مؤقت ريثما يصدر الدستور ، وقد
وضع بنفسه مشروع هذا القانون الذي صدر بمرسوم في
يونيه 1961

— كان له حظ كبير في تحقيق دستور المغرب لسنة
1962 واستقال من الوزارة مع ممثلي حزب الاستقلال
في اول يناير 1963 لانه عارض توجيهات الحكومة
الاقتصادية ورفض لهذا السبب أن تسند الوزارات
الاقتصادية لغير أعضاء حزب الاستقلال
— انتخب في مجلس النواب سنة 1963 ، وكان له
ضلع كبير في توجيه المجلس وفي جميع التشريعات التقدمية
التي اصدرها المجلس

— جدد انتخابه رئيسا لحزب الاستقلال باجماع منقطع
النظير في المؤتمرات انعمامة التي عقدها الحزب بعد
الاستقلال اثناء سنوات 1960 — 62 — 65 — 67
— انتخب قبل استقلال المغرب عضوا مراسلا في
المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجمع اللغة العربية
بالقاهرة

— انتخب رئيسا لهيئة دائرة معارف المغرب العربي

القسم المغربى)

— ألف عدة كتب منها

— النقد الذاتى

— الحركات الاستقلالية فى المغرب العربى

— نداء القاهرة

— حديث المغرب فى المشرق

— المغرب العربى منذ الحرب العالمية الاولى الى

اليوم

— الحماية الاسبانية فى المغرب من الوجهة التاريخية

والقانونية

— دفع عن الشريعة

— مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها

— عقيدة وجهاد

— منهج الاستقلالية

معركة اليوم والغد

— دائما مع الشعب

— دفاعا عن وحدة البلاد

— كى لا ننسى

— الحقيقة عن الحدود المغربية (بالفرنسية)

— الكتاب الاحمر (بالفرنسية)

— وله ديوان شعر كبير لم يطبع ، كما نشر عدة

بحاث ومحاضرات فى كراسات خاصة

— ويعتبر علال الفاسى مفكرا مذهبيا كبيرا ، تجلت افكاره السياسية والاقتصادية والفتحية فى مختلف كتبه وقد كتب عنها وحاولها عدد من مؤرخى الفكر الاسلامى والعربى الحديث باللغة العربية والفرنسية والانجليزية — شرح افكاره المذهبية والسياسية والاجتماعية فى التقرير الذى تقدم بها لمؤتمرات حزب الاستقلال وهى التى صدرت فى الكتب الاربعة

عقيدة وجهاد — منهج الاستقلالية — معركة اليوم والغد — دائما مع الشعب

— يعتبر كتابه النقد الذاتى « من اهم الكتب المذهبية وقد كتبه قبل الاستقلال وحدد فيه المنهج الفكرى لبناء المغرب المستقل ، متخذاً من الحرية اساسا لكل تفكير او ممارسة فى هذا الكتاب يعتمد التحرر اساسا لكل تفكير ، ويعتبر العقل حكما مطلقا لكل عمل فكرى ، ويعتبر حرية التفكير حقاً عقلياً لا حقاً طبيعياً ويقول فى فصل التحرر الفكرى لنثق فى العقل ، ولكن لنرفع مستواه ولنعلم الشعب كيف يفكر ، ولكن لنحذر طفيليات الافكار لتكن حرية التفكير جزء من عقيدتنا التى لا تقبل الدفع وليكن فى حوار الفكر منهجنا الذى لا يبلى »

والتفكير عنده ليس لذاته ، ولكن يجب ان يكون اجتماعيا بحيث نفكر بالغير اكثر مما نفكر انانيين ، ونفكر بشمول يعانق فيه افكار كل المشاكل التى تعترض

الشعب ، كما يعتنق كل الاجزاء التى تتكون منها البلاد
وكل العناصر التى يتكون منها الشعب
وهو لا يربط الفكر بالواقعية المادية ، ولذلك فعنده
ان الايمان بالله فى مقدمة الاسس التى يجب ان يعتمد عليها
تفكير المفكر ويؤكد ان الذين بذلوا الجهود ليقظة اروبا
وامريكا لم يكونوا بعيدين عن الله ، ولا متجردين من
مثاليته ، ولكنه يعتقد ان الدين لا يمكن ان يكون بعيدا عن
الحياة الاجتماعية الا عند الذين عجزوا عن التوفيق بين
العام والدين وينطلق تفكيره هذا من ايمانه بأن الاسلام
رفع قيمة العقل ، وانقرآن دعا الى النظر والتبصر والتفكير
والاحتكام الى الفكر السليم والعقل الراجح ويقول
وهذا ما جعلنا نوسن بالعقل فى غير تحفظ ونعتقد به فى
تفكيرنا الدينى والدين فى نظر الاسلام لا يمكن الا ان
يكون عوننا للعلم ويعتبر ميزة الاسلام انه قابل للتطور
وصالح لكل الطبقات ولكل العصور ولمختلف البلاد وقد
ترك هذا الدين للمسلمين حق النظر فى كل ما هو من
شؤون الحياة وشؤون الدولة وانظمتها وشكل الحكم الذى
يختاره الشعب لنفسه

فى هذا الاطار الفكرى المتفتح يعالج الفكر السياسى
اذى يعتمد الديمقراطية وحكم الشعب لنفسه بنفسه
والفكر الحزبى الذى يعلن فيه باسم الحرية الفكرية
والتنافس فى العمل مبدا تعدد الاحزاب ويرفض النظام

الاستبدادى القائم على الحزب الواحد الذى يؤدى الى جمع السلطة فى يد فئة واحدة

ويعالج الفكر الاقتصادى ايضا بهذا التفكير المستقل المتحرر من التعبد لاية نظرية قديمة او حديثة بعد ان يدرس مختلف النظريات وينتقدها ويقوم فكره الاقتصادى على ادانة احتكار الثروة فى يد اقلية ، كما يدين الرأسمالية الحديثة التى قضت على كل الانظمة والديانات والمبادئ السامية ولذلك فهو يعتمد الفكر الاسلامى فى الاقتصاد الذى يعتبر المال وسيلة لا غاية ، واذا كان يرغب فى الكسب الحلال والاستغناء بالمال ويبيح الملكية ، فهو يحرم اربا كما يحرم التبذير لغير مصلحة كما يفرض الزكاة على المال المدخر او الربح عن طريق الاستثمار ويفرض التضامن الاجتماعى الذى يجعل المجتمع مسؤولا عن الاقل الحيوى لكل مواطن فى معاشه وفى العلاج والتعليم حتى تتحقق العدالة الاجتماعية

والهدف الاساسى عنده من الاقتصاد هو تحرير الانسان من البؤس والبطالة ، واعتبار العمل ذا قيمة اكثر من قيمة المال واذلك يطالب

— بالقضاء على كل انواع الاحتكارات وكل ملكية لا تتفق مع المصلحة العامة

— تأميم جميع المؤسسات ذات الصبغة العمومية ومصادر الثروة القومية والمرافق العامة

- توحيد الانتاج وتنظيم التوزيع
- تنظيم التعاون
- مساعدة الاستثمار الفردى والملكية الخاصة
لمصلحة الجماعة
- التصاعد فى الضرائب
- تحديد الملكية الزراعية
- تقسيم الملكيات الزراعية الكبيرة وتوزيعها على
الفلاحين

— تأمين القروض وجعلها فى متناول المحتاجين
فى اطار هذا الفكر السياسى والاقتصادى المتحرر
يعالج مشاكل المجتمع بشمولية تتناول المنزل والعائلة
والتعليم والصحة والعمل النقابى وهو يستهدف وضع
تخطيط لبناء مجتمع على اساس من التفكير فى صالح
المجموع لا على اساس من الفردية والانانية
وما تزال افكاره التى قدمها منذ ربع قرن موضع نضاله
لتحقيق التعادلية الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمع تتعاقب
مشاكله لتجد حلولها الاساسية فى البرنامج الذى قدمه فى
كتابه النقد الذاتى».

وتعود زعامة علال الفاسى السياسية والفكرية الى
شخصيته فهو يتمتع بكفاءة علمية ومقدرة على تتبع
النشاط الفكرى من خلال التراث العربى والاسلامى
ومن خلال واقع الفكر السياسى والاقتصادى فى اوربا

والعالم الغربى ولكنه لا يتقبل الافكار او المذاهب كم
وضعتها اصحابها ، وانما يعرضها عرضا نقديا فيأخذ منها
ما يتفق مع اتجاهه وواقع بلاده والبلاد العربية والاسلامية
عموما ويرفض مالا يتفق مع هذا الاتجاه ولا يعتبر رفضه
لبعض الاتجاهات الفكرية فى الغرب تعصبا بمقدار ما يعتبر
ذلك استقلالا فكريا نابعا عن شخصيته وحاجة بلاده
وواقعها

وتمتاز شخصيته بالتشبث بأفكاره الى درجة
التعصب والاسلام عنده قادر على أن يطبع الحياء
العصرية ويحل مشاكلها بحلول تختفى معها التناقضات
والاضطرابات الاجتماعية ، ولذلك كان التشريع الاسلامى
عنده صالحا لهذا العصر بالمفهوم المتجدد الذى يعطيه
ايامه ويظهر هذا الاتجاه فى كتابيه القيمين مقاصد
الشريعة الاسلامية ومكارمها « و دفاع عن الشريعة
كما كان يمتاز بالصلابة فى افكاره الوطنية والسياسية.
فقد كان متشبثا بضرورة عودة المغرب الى حدوده
التاريخية والطبيعية بما دامت الوحدة الاقليمية تتحكم فى
الوطن العربى والاسلامى ، ولكنه من اكبر دعاة الوحدة
الاندماجية للمغرب العربى الذى يشمل شمال افريقيا
من سيناء حتى حدود وادى السينغال
وهو ديمقراطى لا يقر الحكم الا على أساس ديمقراطى
برلمانى .

يومن بالتعادلية الاقتصادية والاجتماعية والتعادلية
عنده ليست الاشتراكية الغربية التي تعتمد صراع
الطبقات في حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن
تعاون الطبقات على أسس الملكية المحددة للأرض
ووسائل الإنتاج ولذلك فملكية الأرض يجب أن تكون
للفلاحين المزارعين لا للملاكين المستغلين ومساهمة العمال
في العامل أساسية لرفع مستوى الإنتاج والقيام بالتنمية
الاقتصادية وتذويب الصراع الذي ينشأ بين العمل وأرباب
العمل ، وتأمين وسائل الإنتاج ومؤسسات الاحتكارات
المالية من المعادن والمناجم حتى البنوك وشركات
التأمين

وهو يرى ضرورة القضاء على احتكار المال والاتجار
فيه ولذلك يجب القضاء على المؤسسات الربوية
أما البنوك فيجب أن تكون مؤسسات اجتماعية تنعدم
فيها العلاقات الربوية

جاهد علال في الاقناع بأرائه السياسية والاقتصادية
لا عن طريق الحزب كمؤسسة نضالية تسعى للحكم عن
طريق ديمقراطي لتنفيذ هذه الأفكار فحسب ، ولكن عن
طريق المحاضرات والكتابة والمشاركة في الجمعيات
والمؤسسات داخل المغرب وخارج المغرب
وكان يعتبر علال في العالم العربي والإسلامي زعيما
للفكر التقدمي المرتبط بالإسلام الذي لا يرى أي تناقض بين

الاسلام كدين له نظرياته في حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والانسانية وبين الحياة العصرية المعتمدة على العلم والتي تتعقد فيها المشاكل بتعقد الاختراعات العلمية ومتطلبات حياة الانسان

ولهذا تجاوزت شخصية علال الفاسي حدود بلاده ولم يقتصر اشعاعه الفكري على المغرب الذي يستفيد من توجيهاته ، ولو كان بعيدا عن مراكز المسؤولية الحكومية بل تعدتها الى البلاد العربية والاسلامية

هذا الكتاب

- علال الفاسي دخل التاريخ من اوسع ابوابه
- شخصية متعددة الجوانب : مناضل ، سياسي ، زعيم ، مفكر ، مثقف ، وطني ، عربي ، مسلم ،
- قائد الحركة الوطنية زهاء خمسين سنة
- ماذا صنع في خمسين سنة من النضال عاشها بالطول والعرض ، ولم يغش فيها لحظة دون ان يقوم بعمل أو ينتج فكرة أو يقود حركة أو يكتب كتابا أو يوجه شعبا أو يناقش ويجادل ويقنع ويقتنع
- ملامح هذه الشخصية الفريدة هي التي يتحدث عنها هذا الكتاب